مجلة البيان – العدد 62 ، شوال 1413هـ / أبريل 1993م

كلمة صغيرة

التحرير

سيجد القارئ في هذا العدد اتفاقا غيرمقصود فيمقالات تتعلق بأدب التعلم ، والسؤال وأدب الرحلة ، وطلب العلم ،ومقالاتتتحدث عن المناخ الفكري غير الصحي الذي يعيشه المسلمون، سواء أكان ذلك بتغلب العاطفة على كثير من أمورهم وشؤون حياتهم ، أو بإغلاق منافذ التفكير والتدبر ، وتعطيل القوى التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، وكل هذا يدل على أن المشكلة قائمة ، والمعاناة حقيقية ، ولا بد إزاء ذلك من إعادة النظر بغية إصلاح أساليب التربية وطرق التفكير .

الافتتاحية

أفلا يتدبرون

رئيس التحرير

ليس من أمر هذا الدين أن يكون فيه غلو وتنطع أو يكون فيه جمود وعنت ، وهو دين الله ليس بأهواء البشر ولا بأمانيهم ، وهو رحمة للعالمين ، وبه يصلح حالهم الذي لا يصلح إلا بالطريق الوسط الأعدل ، طريق الذين أنعم الله عليهم ، ولكن من طبيعة البشر نشوء من يميل إلى أحد الطرفين مجانباً سواء السبيل ، مما يوجب على العلماء التصدي لهم بغية إصلاح الاعوجاج . ونفي الزغل والشطط عن هذا الدين الحنيف .

وبسبب غياب العلم الصحيح في بعض المواطن والأماكن في هذه الأيام ، ظهرت آراء شاذة وتجمعات صغيرة تلتف حول شاب متحمس لم يرسخ في العلم بعد، أو حول شيخ سوء يجمع الناس حوله بزخرف من القول ، أو بمداهنة في التشدد حيناً، وفي الترخص أحايين ، قد باع دينه بدنياه ! وهذا الذي يبدو على السطح من منكرات الأقوال والأفعال ما هو إلا عَرَض للمشكلة، وليس أساسها وإنما تتلخص المشكلة بالسؤال المطروح : ما هو المناخ الذي هُيِّئَ لخروج مثل هذه التجمعات؟ وما هي الأرضية التي تنبت أمثال هذه الأفكار ؟ وكيف يقبل الناس اتباع رجل يقول بالمتناقضات ويجمع أسس البلايا؟ وكيف يقبل شباب متعلمون ، وفيهم أصحاب الدراسات العليا وأصحاب الاختصاص العلمي ، كيف يقبلون أن يكونوا أصفاراً مغمضي الأعين يأخذهم شيخهم تارة هنا وتارة هناك؟!

وهذه الظاهرة لا تقتصر على بلد دون آخر بل تكاد تلف العالم الإسلامي ؛ حيث انتشر الجهل وقلَّ العلماء، وفي هذه العجالة محاولة مبدئية لتشخيص الواقع الذي يُفرز هذه الأسئلة :

أولاً: لابد أن نعترف أن المناخ العام الذي عاشه المسلمون في عصور الانحدار العلمي ويعيشون بعضه الآن لا يساعد ولا يدعو إلى التفكير المستقل ، التفكير الذي يدعو الإنسان إلى التبصر ومعرفة مواقع القول ، ويميز بين الخالص والمزيف . وقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نستخدم هذه الطاقات التي وهبنا إياها، فإنه كما وهبنا السمع والبصر، فقد دعانا إلى ممارسة التعقل ، الذي يمنع التدابر و الشقاق : ((تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ))[الحشر:14] ، والتي تزع عن الشر : ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ))[الملك:10] ، والتي تدعو إلى الاتعاظ بالذكرى : ((يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ))
[البقرة:269] ، ((وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ والنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ))[يونس:101] ، كما دعانا - سبحانه وتعالى - إلى ممارسة التذكر والتبصر والتدبر في آيات كثيرة : ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ)) [الأنعام:50] ، ((انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ))[الأنعام:65] ، ((أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))[محمد:24] ، ولا شك أن الذي يجري على الساحة الإسلامية من الآراء الفجة المستهجنة ما هو إلا لأنهم لا يتدبرون القرآن .

إن المناخ السائد هو الانغلاق والجمود والعنت والتقوقع حول من يتلقون عنه ، فلا يتكلم بكلمة إلا تلقفوها، ولا يتحرك حركة إلا وحفظوها !! والمناخ السائد هو التقليد الأعمى، العريق في التقليد، ولا نتكلم عن اتباع عالِم على بصيرة واحترامه والتأدب معه والاستفادة منه ، فهذا شيء وذاك شيء آخر.

إن هذا المرض العضال ليس مقصوراً على اتباع شيخ يستغل الدين لزعامته ويربي الشباب على الخضوع له ، بل طال حتى الذين ينادون بالضد من هذا ، بل وحتى الذين يحاربون ما سمّوه (الآبائية) ، وهي كلمة حق يراد بها باطل أحياناً ، فقد يحاربون بها التراث الصحيح للأمة ، حتى هؤلاء قد شملهم هذا المرض فرددوا آراء مَن سبقهم ، ووقعوا فريسة أسماء مشهورة من الكفرة والملحدين ، ولا يقولون هذا صحيح وهذا خطأ بل يأخذون أقوالهم مأخذ التسليم والقبول .

ثانياً: المناخ الاستبدادي الذى تعيشه الأمة يجعل الفرد يشعر بالضآلة والمهانة، فيلجأ إلى شيخ هنا وزاوية هناك ، أو يهرب من واقعه ، والضغوط التي تُمارَس عليه ، إلى اللامعقول . ومن طبيعة الاستبداد - سواء أكان في البيت أو المدرسة أو المجتمع - أن يشل الفرد عن الاستقلال في التفكير، فينشأ نشأة

لا يثق فيها بنفسه ولابد أن يلتصق بمن يفكر عنه ويأمره وينهاه. وقد تعوَّد هذا المسكين على حياة الذل ، فما المانع أن يكون تابعاً مقوداً لمن يحب أن يتصدر للرئاسة الدينية.
ثالثاً: غياب العلماء الفـقـهاء الذين يعلّمون الناس أمر دينهم ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، بل يقولون بالحـــق وبه يعدلون ، ولا يرهبون الكثرة أو القلة، فهم كالطبيب النطاسي الذي يعرف الداء فيعالجه من جميع جوانبه ، وإن أحد أسباب هذا الغياب قد يكون راجعاً للسبب السابق، فقد تفرق هؤلاء وبعدوا عن أوطانهم، وذهـبــوا كـــل مذهب بسبب الظلم و الإرهاب الذي يمارس على كل داعية صادق ،وعندما غاب هؤلاء تسلق هذا الركن الركين، وتـصــدَّر للـمـجـالـس الأصـاغـر أصحاب الأهواء والذين في قلوبهم مرض، ووجدوها فرصة للزعامة وجمع الأتباع .
وللسبب نفسه غابت المؤسسات العلمية القــويـة التي يتخرج منها من يعلّم الناس الإسلام الصحيح ويتصدى لمشكلات الأمة.
رابعاً : القلق النفسي الذي يعيشه بعض الـمـسـلـمـين نتيجة البيئة الثقافية والاجتماعية، ونتيجة القهر والتشرد والبعد عن الأوطان، فـيـصـبـح الـرجل من هؤلاء متشنج الأعصاب سوداوي المِزاج ، فيفتي ويتكلم من منطلق هذه المعاناة، وتـأتـــي أحكامه وفتاويه عجيبة غريبة، والذين يعانون أمثالهم يعجبهم هذا التشنج فيؤيدون أقــوالـهـم ، ولا يلتفتون إلى أقوال العلماء الذين هم على دراية بالشريعة ومقاصدها وعلى دراية بواقع المسلمين . خامساً: يُستغل ضعاف النفوس وأصحاب الآراء الشاذة لمحاربة أهل الـمـنـهج الصحيح ، والذي يريد استغلالهم يقدم لهم العون المادي والمعنوي مما يجعل بعض الانتهازيين يلتفون حولهم طمعاً بالدنيا، وحتى يظهر هؤلاء بالمظهر العلمي أمام الناس فلابد أن يخــوضوا في الفقه والدين ويخوضوا في التبديع والتفسيق للآخرين ويدَّعوا أنهم أصحاب اتجاه ديـنـي ، فيقع التشويش في الساحة الإسلامية .
هـــذه هي بعض الأسباب التي نراها مهيِّئة للمناخ الذي يتخرج به من ذكرناهم ، والذي يستـطـيـع المسلمون فعله هو إشاعة المناخ العلمي الذي يدعو إلى التدبر والتبصر، والدعوة للارتباط بالمنهج السليم وبذل الأخوة، والتقدير لكل من يرتبط بهذا المنهج ، كما يجب أن نعلم أن الكلام على الغلاة وأصحاب الأهواء ليس من باب تفريق صف المسلمين بل هو من صميم الوحدة الإسلامية .

الهوامش:

1- أخْذاً من قوله - تعالى - ((قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا))[البقرة: 170] .

من إيجابيات الدعوة

تحرير الناس من عبادة غير الله
(2)

د.عابد السفياني

لقد أدرك أئمة الدعوة الإسلامية المعاصرة أن مهمة هذه الدعوة هي تطهير العباد من الاعتقادات والأقوال المخالفة للتوحيد، وردّهم إلى ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه - رضوان الله عليهم - ، وإذا تطهروا من ذلك تحرروا من العبودية لغير الله، وأقاموا مجتمعاتهم - في أي عصر من العصور - على شريعة من الله غير مشركين به.

وإن هذه المهمة الكبيرة تحتاج إلى عمل جاد وصبر وفقه في الدين وتحديد لمواطن الخلل في كل عصر وكل مكان حتى يمكن معالجته حسب ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسولنا - عليه الصلاة والسلام - .

ولنضرب لذلك نماذج عملية متعددة ومتنوعة ليستفيد منها الدعاة في كل مكان ولأهمية هذا الموضوع وسعته سنختار لكل مقال من هذه المقالات نموذجاً حسب أهميته وآثاره الدعوية في العصر الحاضر.

لقد تأمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - واقع عصره فوجد الناس يصرفون كثيراً من أنواع العبادة لغير الله في الاعتقادات والأقوال والأعمال،وإنهم لابد من تحريرهم من عبادة غير الله وردهم إلى عبادة الله وحده. لقد وجدهم يدعون ويذبحون وينذرون لغير الله ، ويعكفون على القبور يصرفون لها أنواعاً من العبادة التي لا يستحقها إلا الله. وتأمل في شبهتهم التي كانوا يعتذرون بها، فمنهم من اعتقد الضر والنفع في غير الله ، ومنهم - عند المجادلة - من يقول إن عبادته لا تصل إلى العليم الحكيم إلا عن طريق البشر أو غيرهم من الأشجار والأحجار والأصنام ، فوجد - رحمه الله - أن هذا القول انتقاص لحق الله الواحد القهار وأنه عذر أقبح من الذنب المعتذر عنه ، لأن مآله تعلق القلب بغير الله لاعتقاد الإنسان أن عبادته لا تصل إلى الله إلا عن طريق المخلوقين فيأخذ في التعلق بهم ، واعتقاد النفع فيهم الذي أنكروه من قبل واعتذروا عنه بقولهم ((مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى))[الزمر:3] ، فاتخذوا بذلك الوسائط بينهم وبين الله. وبعد أن أدرك الشيخ هذا الواقع عزم على تحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .

ثم تأمل الشيخ في واقع مجتمعه فوجد انحرافاً آخر، وجد أناساً يزعمون الإسلام ويتحاكمون إلى غير شريعة الإسلام ، فلم يمنع الشيخ - رحمه الله - نطقهم بالشهادتين وصلاتهم وحبهم للصالحين والأولياء وقولهم إنهم يتبعون العلماء، لم يمنعه ذلك من أن يعزم على تحريرهم من العبودية لغير

الله. ولقد حاجهم وجادلهم بالتي هي أحسن ، ودعاهم للتي هي أقوم ، وخير مثال عـلــى ذلك كتابه "كشف الشبهات" الذي قال فيه مبيناً الأسس التي ينبني عليها فهم الإســـلام بعيداً عن الشرك والانحراف عن شرائع الإسلام : "لا خلاف في أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من ذلك لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند.. فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتـقــده بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص؛ لقوله - تعالى - :((إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ))[النساء:145]"(1).
وبيَّن لـهــم أن هذه المسائل لم يختلف فيها الفقهاء، بل أجمعوا على أن من جحد شيئاً معلوماً كفر ولـو كـان من مسائل الفروع ، فكيف إذا جحد التوحيد وخالف فيه ، ثم ذكر كلام علماء الإسلام في باب المرتد وأن النطق بالشهادتين لا ينفع صاحبه إذا أتى سبباً من أسباب الكفر المخرج من الملة أو الشرك الأكبر، لأن المراد بالنطق بكلمة الشهادتين معناها لا مجرد لفظها(2).
وقد بذل - رحـمــه الله - قـصــارى جـهــده في بيان حقيقة التوحيد فكشف عن مسائل الجاهلية وحذر الناس منها وسيأتي لذلك زيـــادة بـيــان في مقالات لاحقة إن شاء الله.
لقد وقر الحق في قلب الشيخ المجدد - رحمه الله - ولم يـعـــد يلتفت إلى شبههم إلا إذا أراد أن يكشف زيفها، أما واقعهم فقد علم الشيخ أنه لن يصلح إلا بتجديد مفهوم التوحيد وتحقيق مقتضياته ، حتى تصبح وجهة القوم مطابقة لمقتضى الشهادتين التي ينطقون بها.
فلما رأى المخالفون إصرار الشيخ على دعوته رموه عن قوس واحدة،وحاربوه بكل وسيلة في أيديهم ، وهو صابر ثابت لم يفت في عضده كثرة المخالفين وسطوتهم ، ولا لدد الخاصمين وتكبرهم ولا سفاهة المشاغبين وخستهم ، لقد جمع هؤلاء كيدهم وافتروا عليه بأنه : جاء ليبدل دينهم ويظهر في الأرض الفساد ويحارب العلماء والصالحين والأولياء.. فلابد إذاً من محاربة دعوته !!
وقد تمت المحاربة ولكن الله حفظ الشيخ ولم يـتـنـازل عـــن شيء من دعوته ، بل مضى في طريقه لا يكل ولا يضعف ولا يتردد حتى انتشر العلم بالـتـوحـيـــد وأحـكـامــه وربى أتـبـاعــه على ذلك وانكشف زيف الشرك وأباطيله ، ومسائل الجاهلية وسفهها.
لقد طلب منه مخالفوه أن يَدَعهم وما هم فيه ، وكان يمكن أن يستجيب لمطالبهم ولكن أراد الله به وبالناس خيراً، كان مجال التأويل واسعاً لمن أراد أن يخلد إلى الحياة الدنيا ويقعد عن تحمل المسؤولية في مجال الإصلاح ، كان يمكن أن يقول الإنسان لنفسه : كيف أدعو الناس للتوحيد... وأتـحـمـــل كـل هذا العناء والدولة العثمانية التي عاشت قروناً طويلة وخدمت الإسلام في كثير مـــن السنين قائمة بالفعل وتتبعها الإمارات في كل مكان ، لِمَ لا أترك لها

القيام بذلك على طريقتها وهي تتحمل ما يقع من تقصير، وألتزم بالوضع الذي كان سائداً، وقد وفق الله الـشـيـخ إلى الصواب في هذا الأمر فلم يلتزم بالأطر الدعوية التي كانت تمارس في تلك الأيام ، وسَلِمَ من فساد التعصب والتقليد والعادات وارتفع إلى طريقة الكتاب والسنة في الدعوة إلى الله - عز وجل - .

كان يمكن أن يقول الداعية لنفسه في مثل تلك الظروف لماذا أبدأ بتصحيح الاعتقاد، وأنابذ الشرك والبدع والأهواء وأهلها، ولـمـاذا لا أبـدأ بتصحـيـح الأمـور الجزئية.. ولا حاجة للدخول معهم في خصومة ولا بأس من أن أعذرهم في تلك المخالفات العقَدية، وتكون الألفة والمحبة والولاء بيني وبينهم وبذلك أسلم أنا ومن معي من كيدهم ومكر رؤسائهم ومخالفة عوامهم، وفـي آخـر الـمـطـاف يمكن لي أن أصحح الانحراف في الاعتقاد. ومع كل هذه التأويلات والمغريات.. إلا أن الـشـيـخ - رحمـه الله - لم يقبل بشيء من ذلك واختار الاستمساك بالمنهج الدعوي كما ورد في الكتاب والسـنة فدعاهم من أول الطريق إلى تحقيق مقتضى الشهادتين وتحكيم الشريعة في جميع شؤونهم، ومنابذة ما يخالف ذلك ، والبراءة من الشرك وأسبابه وأهله ، والصدق في نصرة دين الإسلام.

واحتمل - رحمه الله - عن بينة وبصيرة وعزيمة وثبات كل العداوات ، احتمل العداوات من الرؤساء الجهال ممن ينتسبون إلى العلم أو يملكون السلطان. واحتمل الذم من جـهـلـة العوام ، والافتراء من سدنة الشرك والجاهلية والتعصب. ولم تكن هذه العداوات بعيدة عن باله وهو الذي كان يأمر من يتبعه بأن يتسلح بالعلم والحجة ليواجه كل تلك العداوات. قال - رحمه الله - في كتابه "كشف الشبهات" : "واعلم أن الله - سبحانه - من حكمته (تأمـل قـولـه "من حكمته") لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً كما قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَـعَـلْـنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإنسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً))[الأنـعــام:112] ، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وهم أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالـواجــب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين.. ولا تخف ولا تحزن ((إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً))[النساء:76]"(3).

نعم ، إن الطريق إلى الله لابد لـه من أعداء قاعدين عليه يصدون الناس عن سبيل الله ، ولابد للدعاة من الصبر على كيدهـم وتبيين التوحيد ومحاربة الشرك وتحرير الناس من عبادة غير الله بكل صورها وأشكالهـا. ولا يحسبنَّ أحد أن آثار دعوة الشيخ مقتصرة على محاربة شرك القبور والأضرحة - كما فهم كثير من الدعاة في بلاد العالم الإسلامي - كلا، فإن دعوة الشيخ دعوة شاملة تجديدية بذلت جهدها المستطاع في تحرير الإنسان من عبادة غير الله ، سواء أكانت تلك عبادة الأولـيــاء والأضرحة أو عبادة الطواغيت وطاعاتهم

في التحاكم إلى غير شريعه الله ، أو ما سوى ذلـك مــن مـســائل الجاهلية التي عن طريقها يُنتقص حق الله - سبحانه - في العبادة أو ينتقص حق هــذه الشريعة الربانية في الاتباع ووجوب التحاكم إليها في جميع الأمور .
وسنزيد ذلك بياناً عندما نكشف في المقالات القادمة - بمشيئة الله - عن العلاقة بين جهد الداعية الكبير وبين جهود مصلحين آخرين في ديار العالــم الإسلامي ، سواء أكانت هذه العلاقة عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر ولا يزال الحـديث موصولاً - بتوفيق الله - عن الإيجابية الأولى للدعوة الإسلامية المعاصرة، وبيان الجانب العلمي والأسلوب المختار عند بعض المجددين الذين كان هدفهم في الدعوة إلى الله تحرير الإنسان من عبادة غير الله بجميع صورها وأشكالها ، القديم منها والجديد، حتى لا يُعبد إلا الله وحده بلا شريك .

الهوامش :

* ملل الكفر وطقوسها وقوانينها صور من العبادة لغير الله ، والـدعــاء والذبح والنذر لغير الله صور من صور الشرك .

1- مجموعة التوحيد ، 88.

2 - مجموعة التوحيد ، 72.

3- مجموعة التوحيد ، 73.

الدعوة بين العقل والجمهور

محمد بن حامد الأحمري

يتعامل غالب المسلمين مــع سـيــرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومع التاريخ الإسلامي تعامــلاً عاطفياً بحتاً لا يتجاوز دور الإعجاب والتذكر والاندماج في أخباره وأمـجـــاده، واستـعـــادة هـــذه الصورة التاريخية يوماً بعد الآخر دون الاستفادة منها كمدرسة متنوعة المراحل والأدوار والـمـوضـوعـــات والمواقف ، وما فيها من مواقف إقدام واجتياح ، تدعو للوقوف والتأمل والبحث عن مخـرج عندما تُغلق بعض أبواب الدعوة . في مثل هذه الحال تسكت أصوات الحادين المشجعين مستجيبة لصوت هداة القافلة القائلين : أمامكم منعطف تحتاجون فيه إلى احتراز وتعقل حتى تتجاوزوه سالمين بإذن الله. وهذا هو المنعطف الذي تتجاوزه القافلة بحذر ثم يستمر السير أحسن مما كان.
فاستجابة المسلمين للقتال والبيعة عـلـى الـمــوت في "بيعة الرضوان" لا تتناقض مع القبول بالصلح في "صلح الحديبية" الذي تلا البيعة مـبـاشـــــرة. وحُق لبعض المتأخرين استشكال الموقف إذا لم يتدبروا مآل الأمر. ومع أن الصلح حقق فائدة عظيمة للمسلمين فيما بعد فقد صعب الموقف على بعض أصحاب رسول الله -صلى الله عـلـيـه وسلم- ، وقد قال بعضهم كيف نعطي

الدنية في ديننا ، "وعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلاماً وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعلم بما علمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجاً فقال لأصحابه : اصبروا فإن الله يجعل هذا الصلح سبباً إلى ظهور دينــه فأنس الناس إلى قوله بعد نفار منهم"(1) .
وسواء أصعب على الصحابة في ذلك الوقت الرجوع إلى الصلح بعد البـيـعــة على الموت أو صعبت عليهم شروط المصالحة، التي رآها بعضهم مجحفة بالمسلمين كما رأوا في اعتراضات سهيل بن عمرو على الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنجهية تستحق القمع، ولكن النظر في المصلحة الأولى خير من الـوقـــوف عـند اعتراضات سهيل ، أو مشهد إعادة أبي جندل يرسف في قيده إلى قريش . ثم قبلوا الصلـح عـلـى مضض ، وحلوا "ونحروا بعد توقف كان منهم أغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"(2)، وذلك دلـيــل عـلـى أن الخلاف في موقف كهذا الموقف وقع مع الرعيل الأول ودوافعه الإخلاص للدين واتحاد الوجهة، فلهم أن يروا رأيهم ، وأن يفكروا ويشاركوا قيادتهم فيه وتختلف الآراء ولكن القرار الذي اتخذ بعد أن أنس المسلمون إليه كان واحداً ونهائياً(3). فقد كان الإسلام بحاجة إلى الرسوخ في الجـزيرة وفي المدينة وما حولها وقريش التي لم تكن تعترف بالمسلمين الذيـن تـسـمـيـهـم (الصباة) أصبحت تفاوضهم وتعترف بهم نداً قوياً وتسلم الحرم عدة أيام في السنة القادمة، وتعــترف لهذا الكيان بقيادته وأحلافه ومناسكه. ويأمن المسلمون فيه شر قريش ويتجهون إلى ساحات أفسح للدعوة والقتال وترسيخ مواقعهم.
إن مــا يحتاجه المسلمون اليوم هو البصيرة من سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هدنته كـمـــا يستفيدون من حربه ، فتفويت فرص العدو وعدم تمكينه من المسلمين حاجة إسلامية ملحة وهذا موقف قد لا يروق للسان الخطيب ولحاشد الجماهير، ويرى الخطيب في هذه الحالة أنه يفقد المتعاطفين والمتحمسين بل يفقد الجماهير. مع أن الجماهير والشهرة يجب أن تُصبا في مصلحة الإسلام والمسلمين وألا تكونا غاية في ذاتها. وإذا حدث ذلك - لا قدر الله - فـهـــو انحراف عن الغاية وفساد في النية لا أظنه موجوداً - إن شاء الله - بحجم يذكر. وخطـورة هذا الأمر عند بعض الخطباء أن يصل بهم الأمر إلى تلقي مواقفهم من الجماهير الحاشدة التي يعجبها النغم وتستسلم للصوت المثير وإذا هدأ الصوت أثارته مرة أخرى بحثاً عـن مـتـعــة الاستماع والجدة والإثارة فقط ، وليس بحثاً عن إيصال هذا الكلام المسموع المثير إلى حيز الفعل أبداً . فللجماهير شهوات يطلبون تحقيقها من الخطيب يستغربها في البداية ثم يسير فـيهـا مرغماً فيما بعد، فيفقد عقله ورأيه ، ويصبح لساناً لما يسمى بالعقل الجمعي.

ومن المعروف في علم الاجتماع أن للمجموع عقلاً يختلف عن عقل الفرد، وأن العقل الفردي في حالة الاندفاع الجماهيري يبلغ أقـــل مـسـتـويـاته ويضعف جداً مستجيباً للعقل الكبير البديل "عقل الجماهير"، ورغباتها التي تريد تحقيقها ولو بطريق غير معقول.
ويضرب الاجتماعيون والسياسيون لهذا مثلاً بما يحـــدث في المظاهرات ، فبعد أن يجتمع عشرات الآلاف في مسيرة وتزيد حماستهم لاجتماعهم وكثرتهم وأهمية ما يمكن أن يقوموا به تجد عقلاءهم وخيرة رجال المجتمع يرمون الأحجار على النوافذ، ويكسرون السيارات ، ويدمرون كل ما يواجهونه في الطريق. ولو رأيته قبل المظاهرة أو جلست معه بعد لحظة وعي وتعقل لقال لك ذلك موقف الجماهير، وربما وصف نفسه بالجنون ، فللعقل الجمعي خطورته وضرره. مع أنه ينبض بحاجات الأمة الصادقة وما يختلج في كيانها، فهي تعبر عن حاجات حقيقية صحيحة معقولة ، بأساليب ومواقف قد تكون أحياناً غير معقولة. هنا يأتي دور العقلاء في التحكم بعقول الجماهير وليس الانـسـيـاق وراءهـــا، فلا يحتمل اللوم سوى العقلاء في حال الخطأ أو التقصير. لذا فالخطيب - وليس القائد - هـــو الذي يسلم لسانه للجماهير تقول عليه وباسمه ما تريد حتى وإن لم يكن صحيحاً ولا معقولاً، وتجره كل يوم في وادٍ أو موقف لم يحسب حسابه ولم يكن معروفاً لديه.
ومتابعة رغبات الجماهير في اتخاذ المواقف ظاهرة سلبية تقودنا إلى مواقع مجـهـولـة لنا، ومواقف لم نحسب حسابها عملياً، بل لم تعطنا الجماهير الفرصة للتفكير فيها وما نحـن فيه وحقيقة موقعنا وقدرتنا على القرار، فالخطباء مأسورون بحماسة جماهيرهم،والجماهير مأخوذة بما تسمع ، ومسحورة بآذانها، والعقول في كثير من الأحيان في إجازة وخــــارج دائرة العمل ، وعندما يسمح لها بالعمل فإنها تستهلك في تبرير الأعمال العاطفية السابقة. ليس هذا تجريحاً ولا تقليلاً من الرأي الجماهيري ، ولكن وعي السلوك العام ودوافـعـــه وأساليب صياغته للاستفادة منه وتجنب آثاره العكسية على العمل الإسلامي مطلب ملح.
ومـــــن مخاطر العمل الجماهيري أن المتحدث أو الخطيب يشق عليه المزج ما بين عملين رائديـن فـي غـايــة الخطورة والتأثير، أولهما: رجل العقيدة، وثانيهما: رجل السياسة. فالعقيدة وعلمها وصفاؤها ومباشرتها ووضوحها والتزامها لها مطالبها. والسياسة وغموضها وثعلبيتها وعلمها وفـنـهـا ومزالقها لها مطالبها هي الأخرى، والجمع بينهما عند الأولين والمتأخرين نادر جداً .
لا يلـيـق بنا الاستسـلام للجماهير، ولا الاستسلام للتاريخ كي يملي علينا مشاهده الرائعة التي لا نملـك الحـركة بها. فحاجتنا تملي علينا أن نتعامل مع العلم الشرعي ، والثقافة التاريخية من حال واقعنا فلا نستسلم لأمجاد وأخبار هارون الرشيد ونفكر بعقلية "اذهبي أنَّى شئتِ فسيأتيني خراجك" ونخطب في

جماهـيـر منكودة الحاضر، مجروحة الكرامة، مستغرقة في الآمال والأحــلام والـتـــاريخ ، ويزيـد إخلاص السامعين وصدق نياتهم من حماستنا فننسى أين نحن وعلى أي الـمـنـابـر، فنهدد برسالة هارون الرشيد إلى نقفور ؛ ونقول : "من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم" ، الجواب ما ترى لا ما تسمع. فيخرج نقفور من وسط الجماهير ويقبض على خطيبنا ويودعه السجن ، والجواب ما ترى لا ما تذكر.

وترجع الجماهير إلى بيوتها تضرب يداً على الأخـــرى ما بين حزين صادق كثرت عليه الأحزان - منذ اقتطاع بلاد المسلمين في فلسطين والصـومـــال والبوسـنـــة وكشمير حتى اختطاف شيخه وأمله القريب. وكان يملك أن يسمع "إنا لله وإنا إليه راجـعــون" ، كان يسمع شيخه يعزيه ويؤمله ، واليوم لا يملك إلا أن يهمس بنفس الكلمات وأقــل مـنهــا لزوجه - وآخرون كانوا يحضرون الخطبة بحماسة شديدة، وكأنها عندهم مسرحية حية بــدأت بـهــارون وانتهت بنقفور، وعندما يعودون إلى مساكنهم يقولون : لقد غلط الشيخ وأخطأ، فنحن في عصر السرعة، ونقفور أصبح بإمكانه أن يصل ، وأن يقبض على هارون ، بل أن يسجنه ويقتله قبل أن يرسل هارون جنوده ، نسي الجميع أن هارون قد رُمَّ من قرون. وهذا داء أمتنا من قديم نخبط كل يوم في بلاد، ويأخذ بعضنا كلام الآخر، يعيد تمثيله وإخراجه للناس دون أن ندرك أخطاء إخواننا الصادقين في كل مكان ، ودون أن نـحــاول أن نـتـجـنـب مــا حـــدث لهم، فعدوُّنا واحد: ((وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى))[البقرة:120]، وقد رمونا عن قوس واحدة ، فليس يليق بنا تكرار المشاهد وهم يكررون نفس الأسلوب، ابحثوا عن طريق ورسخوا الحق ، وابنوا وحداته الجزئية المثمرة المعروف أثرها، وعلِّموا الجماهير ما تحتاج ، ولا تهيجوها لما لا تعلمون جميعاً، وتجنبوا خطب إلقاء "إسرائيل" في البحر، ولو لسنوات معدودات ، تكفون فيها أيديكم وتستعدون ليوم تفعلون فيه شيئاً. وعندما يرتــــاب السامعون - لضعف الإثارة وقلة الحشد وخفوت صوت الحماسة - فذلك ما لا يلزم جوابهم عليه خاصة إن كانوا ممن لا تحتمل عقولهم الجواب ، ولك في قول الشاطبي اقتداء ، حيث قال : "وقد لا يلزم الجواب في مواضع ، كما إذا لم يتعين عليه أو المسألة اجتـهــاديـة لا نص فيها للشارع ، وقد لا يجوز جواب السائل ، كما إذا لم يحتمل عقله الجواب ، أو كان فيه تعمق أو أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط وفيه نوع اعتراض"(4) .

والأمور بمآلاتها، وليست مما يسهل على الكثير وعيها، وتقوى الله فيهم واجبة، والنصح لهم واجب ، وكلٌّ يُعطى من العلم حسب طاقـتــه. ولا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي بل يربَّى بصغار العلم قبل كباره (5).

ومـن تـقـــوى الله في الأمة أن يدبر لها عقلاؤها المخرج بعيداً عن ضجة مكبرات الصوت والتهاب حماسة الجماهير ؛ فارتجال المواقف مراعاة

لمشاعر الجماهير وحماستهم لا تقل خطأ عن المسارعة في رضى الظالمين (ومسح الجوخ لهم) ، وإن كان الأول أعز وأكرم أمته بموقفه وحماسته ، والآخر حطها بالتذلل والمسارعة لإرضاء الظالمين ، ولكن قد يكون مآل الأمرين واحـــداً، وهـــو تمكين عدونا منا تعجلاً للثمرة، أو تطويعنا له نفاقاً أو هلعاً من مواقف الرجولة وهروباً من شبح المحنة.

الهوامش :

1- الدرر في اختصار المغازي والسير ، لابن عبد البر، ص193.
2 - المصدر السابق ، ص194.
3- من المهم مراجعة أو استحضار أحداث صلح الحديبية من كتب السيرة.
4 - الموافقات للشاطبي ، 4/313 .
5- المصدر نفسه ، 4/190-191.

خواطر في الدعوة

ظلم ذوي القربى

محمد العبدة

عندما كان القتال محتدماً بين أحزاب الجهاد الأفغاني في العاصمة كابل، وكانت القذائف تنزل حمماً على رؤوس الآمنين(1) والـمـسـلـمـون فـي كـــل مكان يتألمون لما يقع بين إخوة الجهاد، ويزداد ألمهم عندما يفكرون بالأثر الذي يُحدثه مثل هذا القتال على نفسية المسلم ومعنوياته، ففي أثناء هذا الصراع تمنى أحد زعماء الجهاد إيقاف هذا القتال، وإن لم يكن نهائياً فعلى الأقل في شهر رمضان المبارك ، وقال هذا القائد: كنا أحياناً نتوقف عن القتال في شهر رمضان أثناء جهادنا مع أعداء الإسلام، مع حكومة كابل الشيوعية، أفلا نستطيع الآن أن ننفذه مع إخواننا وفيما بيننا؟! .
حقاً، إن ظلم ذوي القربى شديد على النفس، وهذا إذا وقع بين الأقارب في النسب،فكيف به إذا كان بين الأقرباء في العقيدة والدين ، وكيف به إذا تعدى ظلم فرد لمثيله وأصـبـــح فاشياً في ظلم مجتمع لمجتمع ، أو جماعة لجماعة فهو أشد مرارة، وأكثر ألماً، وأقسى من كـل ما تصاب به الأمة من عدو خارجي ؛ لأن المحنة عندما تأتي من إخوة لك في الدين، فـهـذا سـيؤدي إلى فقدان الأمل عند جماهير الناس بمن يتصدى للدعوة، وفقدان الأمل من قرب اسـتـئـنـاف حـيـــاة إسلامية، وسيؤدي إلى الإحباط وإشاعة روح اليأس ، وسيكون الـتـســـاؤل قــوياً وحاضراً وملحاً: إذا كان هؤلاء يتخاصمون ولا يتفاهمون، ويـتـعــادون ويتشاكسون. فهل هناك أمل في الإصلاح المنشود ؟!

هل أصيب المسلمون بأمراض المنطقة وأوبئتها؟ فصاروا مثل غيرهم من الأحزاب المتناحرة، حيث اشتهر (الرفاق) في الأحزاب العلمانية بممارسات تصفية زملائهم ، سواء بالتصفية الجسدية أو الإبعاد أو السجن.
هل يعي الـمسلـمـون - والكلام ليس للأفغان وحدهم - أنهم بتنازعهم وأنانيتهم ، وضيق أفقهم وروح الإقـلـيـمية التي شاعت بينهم ، سيكونون من أشد المساعدين على بث اليأس والهزيمة النفسية، وهـــل يـعـي الـمسلمون الدرس الأعظم في تاريخنا، وهو مقتل الخليفة الثالث ظلماً وعدواناً، تلك المحنة الداخلية التي كانت أوقع أثراً في المجتمع الإسلامي ، وفي التاريخ الإسلامي من كل المحن الخارجية.
إننا لا نستطيع أن نقول لهؤلاء الـذيــن يتشبثون بأنانيتهم وأغراضهم الخاصة، ويدافعون عنها ولو ضعفت الدعوة وتمزق الصف - لا نستطيع إلا أن نذكّرهم ونقول : اتقوا الله في هذه الأمة، التي تكاثر عليها الأعداء، فلا تكونوا عوناً لهم وإن كـنـتم لا تقصدون ذلك ، ورحم الله امرأً عرَف قدر نفسه.

الهوامش:

1- توقف هذا القتال - كما حملت لنا الأخبار أخيراً - ونتمنى أن يستمر هذا التوقف ويصمد هذا الاتفاق وأن يحكم الإسلام بلاد الأفغان.

طرق الطرح العلماني

د.عمر المديفر

ليست أساليب وطرائق العلمانيين فـي طـرحـهــم للـمـبـدأ العلماني واحدة، بل هي متغيرة بحسب الزمان والمكان ، وهذه التغيرات قد تشمل أساليب الخطاب ، وقد تمتد إلى أساليب عرض المبدأ العلماني ، وهكذا ..، فبينما تطرح العلمانية فـي قـطــر معين على أنها مضادة للدين ، تطرح في قطر آخر على أنها موافقة للدين. وفي بلد ثالث تُفرض فيه العلمانية ببطء وحذر شديدين حتى لا تلفت الأنظار إلا بعد كونها واقعاً لا مناص منه.
لقد كان كثير من العلمانيين في بدايات هذا القرن الميلادي لا يتقربون إلـى الـديـن وأهـلـه، وكانـت شـعـاراتـهـم تتراوح بين القومية والشيوعية والاشتراكية، ولكن حينما اشتد ساعد الصحوة، وبدأ المسلمون يشعرون بقيمة دينهم ، بدأ العلمانيون بكافة أصنافهم بالتقرب إلى الدين ، وبمحاولة إيجـاد صيغة تجمع بين علمانيتهم ومقاصدهم الشخصية وبين استغفال الشعوب المسلمة والاستخفاف بها من خلال التظاهر بالمظاهر الإسلامية!
فعلى سبيل المثال ، كان شبـلـي العيسمـي (السوري الدرزي الذي فرّ من سورية إلى العراق سنة 1967م) أحد منظِّري البـعـثـية في العالم العربي لا يأتي للإسلام بذكر فيما يقرب من عشرة مؤلفات صدرت حتى عام 1984م ،

أمـا ما بعد ذلك فقد ألف عن كون العرب مادة للإسلام ، وعن "عروبة الإسلام"!! وكذلك كانت حال بقية المنظرين للعلمانية(1).
وكل هذا التغيير يدلنا على أن العلمانية ليست مقـنـعــة كمنهج في العالم الإسلامي ، لأن المسلم - مهما بلغ انحرافه - يشعر بارتباط الإسلام بالحيـاة العامة، ويشعر بكون الإسلام له سلطان على كافة أنحاء الحياة ومجالاتها، ولهذا نجد الـمسلم الذي لم تفسد فطرته لا يفكر في إمكانية الخروج عن شريعة الله ، ومن هذا المنطلق يرفـــض العلمانيون أن يُستفتى الشعب في إقرار أو منع الدستور العلماني ، لأنهم يعرفون حتمية خسرانهم.
وهذه التغيرات تدلنا أيضا على أن العلماني ليس له هدف سامٍ وهــــو رفعة الوطن - كما يقول - بل هدفه هو الوصول لمصلحة شخصية، والأمثلة على هذا كثـيــرة ممـن كـانــــوا مـعـارضـيـن لأنظمتهم الحاكمة، ثم حينما اشتُريت مبادئهم بمنصب ودخل مادي انقلبوا مدافعين عن تلك الأنظمة !!
ويمكننا تقسيم أساليب الطرح العلماني إلى طرح مكشوف وآخر ملتوٍ مموّه!

1 - الطرح الصريح :

وهذا الأسلـــــوب هو أسلوب العلمانيين الأقحاح ، الذين يستطيع المرء أن يصفهم بالغلو العلماني بلا تردد، لصراحتهم حول هذا المبدأ، وهؤلاء أمِنوا العقوبة لأنهم في بلد تحكمه العلمانية، والشــرائـع الجاهلية، التي تسمح لهؤلاء بالانتقاص من قدر الدين ، والتعدي عليه ، في حين تكمم أفواه الدعاة، والذين يريدون الدفاع عن دينهم!!
ويرتكز هذا الطرح على ما يلي :
أ- مدح الغرب وإطراؤه ، ودعوة الأمة إلى اللحاق بركبه والتأسي بتجربته في رمي الدين جانباً وعزله عن الـحـيـاة، وعن هذا يقول أحدهم تحت عنوان "درس النهضة الأوربية" وهكذا نستخلص من اسـتـيـعـاب درس النهضة وموقفها من التراث حقيقتين على أعظم جانب من الأهمية:
الأولى : هي أن من الـممكن أن تقوم نهضة علمية فكرية رفيعة المستوى في مراحلها الأولى على أساس الرفض الحاسم للتراث ، وذلك حين يكون هناك انقطاع في التراث يمنع من استمراره في خط مـتـصـل حتى الحاضر، وعندئذ لابد أن ترفع النهضة شعار "البدء من جديد" كعلامة على تحدي التراث.
والثانية: هي أن الـتـطـــــور والتقدم المستمرين في المعرفة يساعدان على الوصول إلى نظرة تاريخية إلى التراث يختفي فيها التناقض بين تمجيده والاعتراف بتخلفه (2).
ب - ادعاء علمانية الإسلام ، وأنه لا تناقض بين الإسلام والعلمانية! ؛ لأن الإسلام دين فرد لا دولة! ويستدل هؤلاء بكتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق ، وكتاب "الديمقراطية أبداً" لخالد محمد خالد وخير مثال لهذا الادعاء كتاب "العلمانية والدولة الدينية" لشبلي العيسمي .

ج - ادعاء عدم صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنها نزلت في وقت معين ، وأنها لابد أن تتطور لتوافق النمط الاجتماعي الجديد، ولو كان في هذا تجاوز لأحكام ثابتة غير اجتهادية ؛ لأن المصلحة مقدمة على النص عندهم !! وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون فردياً بالدين وشعائره! وإن كان معظمهم لا يؤديها !! ويستدلون بأقوال هي إما لمنحرفين كمحمد أحمد خلف الله ، وعلي عبد الرازق أو أقوال شاذة لبعض القدماء كقول نجم الدين الطوفي : "إن المصلحة مقدمة على النص" ! فتجد هذا النص متكرراً في كتبهم ومقالاتهم (2)، ولم ينقل أحدهم القاعدة المشهورة "لا اجتهاد مع النص " ولم ينقل أحدهم قول أئمة الإسلام فيمن يحدد المصلحة !!
د- التركيز على قضية المرأة وأنها مهانة في الإسلام ، وضرب الأمثلة والإطناب في ذلك إلى حد زعم وادعاء اللعب على المرأة في الشريعة الإسلامية!! حتى أن فؤاد زكريا ليقول - وبأسلوب مموه - "لو لم تكن المسألة في حقيقتها لعبة بارعة أتقنها الرجل لكي يخدر المرأة ويحقق بها مصالحه لاتجهت دعواته إلى أن يتحمل هو جزءاً من العبء على الأقل.. الخ" وكأن الشريعة وضعها رجل وليست شرعاً
سماوياً ! .
هـ - جعْل الثورة الإيرانية الشيعية هي المثال لكل حكم إسلامي ، وصحوة إسلامية، بل إنهم يرددون في كتاباتهم مزاعم تصف العمل للإسلام ، والدعوة للعودة إليه ، والتمسك به بالسعي إلى إقامة طهران أخـــرى !! ؛وهم بهذا يريدون أن يخوفوا الشعوب من الصحوة الإسلامية، ويحاولوا الصد عــن ديـــن الله ، بل إن أحدهم قاس كل دولة إسلامية على الثورة الإيرانية بالنسبة للنص في الدســتـــــور على مذهب معين فقال : "وقياساً على هذا المنطق فإن الدولة الإسلامية في الوطن العربي يجب أن تعتمد على الأساس المذهبي ، ولا يخفى ما في ذلك من خطر وخطورة على إمـكـانية قيامها من جهة وعلى مضمون الوحدة والتماسك بين أبناء الدولة الإسلامية الـمـنـشودة من جهة ثانية"(4) وكأنه حريص على وحدة أي دولة إسلامية!
و- نقد الصحوة الإسلامية ومظاهرها، والسخرية منها والتعرض بالنقد اللاذع لرموزها من العلماء والدعاة وكل ذلك - كما أسلفنا - محـاولـــة لإجهاض هذه الصحوة أو بث الوهن فيها، وتفريق الناس من حولها ولكنهم خابوا وخسروا.

2- الطرح المموه :

وأهل هذا الأسلوب غاية في الحذر والمكر، فهم يدَّعــــون الإسلام ، ويتباكون على حال المسلمين ، حتى يلتبس أمرهم على طالب الحق ، فلا يستطيع تمييزهم ، ولكنهم يعرفون بصدورهم عن آراء الشواذ فيما يتعلق بالشريعة وعدم رجوعهم إلى الحق ولو أقيمت عليهم الحجة، وهم في الغالب لا ينكشفون إلا في حال فرح غامر بانتشار المنكر أو استياء شديد عند حصول

نصر للإسلام ، ففي هذه الحال يصدر منهم ما ينبىء بما يخفون وبهذا يُتبيَّن انتماؤهم ومنهجهم.
وغالب من يسلك هذا الطريق الملتوي يعيش في بلد ترتفع فيه رايــة الدين ؛ فلا يمكن له التصريح بمنهجه ، خشية من العقوبة الرسمية، أو خـشـيـــة العقوبة الشعبية، كرفض الشعوب له وسقوط مصداقيته. ومن مرتكزات هذا الطرح ما يلي :
أ- الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد، والإلحاح على ذلك، وحشد النصوص والنقول الشاهدة على ذلك ، ثم تمتد هذه الدعوة إلى الاجتهاد في ثوابت الدين ، وتمـتــد إلى تجديد أحكام مجمع عليها وإلى الحث على تجاوز الإنتاج الفكري والفقهي الإسلامي عـلــى مدى أربعة عشر قرناً، والرجوع إلى الكتاب والسنة بشكل مجرد، ورفض أية وصاية - عـلـى حـــد زعمهم - يفرضها ذلك الإنتاج ، وعدم الاعتراف بكثير من شروط الاجتهاد التي وضعها السلف!
وقد تورط في مثل هذه القضايا بعض الكُتاب مثل فهمي هويدي في كثير من كتاباته وخاصة ما كتبه في فصل "وثنيون أيضاً عبَدة النصوص والطقوس" في كتاب "القرآن والسلطان" . والـدكـتـور محـمـد عـمـــارة في كتاب "الإسلام والعروبة والعلمانية"، وفي كثير من كتاباته المعاصرة، وآخرين من أمثالهم.
إن الدعوة إلى الاجتهاد فـي أصـلـهـا صحيحة، ولكن الاجتهاد له ضوابطه وشروطه التي فصّل فيها علماء الأمة القول ، وبينوا أن المجتهد لابد له من الآلة، وهي علوم الشريعة، وأنه لابد - لكي يكون مجتهداً معذوراً - أن يبذل الوسع ، ويخلص النية، وإلا كان كمن اجتهد في القرآن برأيه ، فأصاب ولكنه مخطئ؛ لأنه اجتهد بغير علم، ويتناسى أصحاب هذه الدعاوى أقوال الفقهاء والعلماء في التحذير من القول على الله بغير علم (5).
ب - ادعاء: أن المهم هو أساس الإسلام ، ورسالته المهمة في إصلاح النفـوس وتزكـيـتـهـا وتهذيب الأخلاق ،وأن هذا أهم من تطبيق الشريعة، وإقامة الحدود، والجهاد وغيرها مما يــؤذي الـحــس الـعـلـماني المرهف!! الذي يرضى بالشرائع الغربية، والقوانين الوضعية التطبيقية، ولا يهتم إلا قليلاً بنقل جدية الحضارة الغربية في العلم المادي ، وهذا واضح في الجهود التي تبذلها الحكومات العلمانية في محاربة الدين ، وتغريب القوانين ، بينما لم يستطع أي من تلك الأنظمة التقدم تقنياً ومادياً كما تقدم في مجال التغريب !
ويحرص العلمانيون على احتقار المظاهر الإسلامية، لأنها هي سمة المسلمين ، وبها يعرف المسلم من غيره في عصور ظهور الإسلام، ولكن إذا فقدت هذه المظاهر أهميتها أصبح التمييز بين المسلم وغيره أصعب، وهـــذه الإشـكــالية صحيحة أيضاً بالنسبة للعبادات والشعائر العامة، وفي مثل هذه الأحوال يمكن للعلمانيين التحرك بحرية داخل المجتمع الإسلامي.

ج - دعوى الحرص على الوحدة وعدم التفرق: هـــــذه الدعـــــوى قديمة ومتجددة لدى العلمانيين ، فهم يرفعون هذا الشعار في كل مكان ، ويرفضون التمسك بالدين - وبالذات في حكم المجتمع - لأنه - على حد ما يزعمون ويفترون - يفرق المجتمع ، ويؤجج النزعة الطائفية، وقد قال هذه الدعوى كثير من العلمانيين ، بل يذهب العلمانيون في تنظيرهم إلى وجوب تطبيق العلمانية لتحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية! وهـــذا أحـــــدهم يقـــول عن العلمانية : "وتلغي تنظيم المجتمع على أساس الطوائف وهي إذ تلغي الطائفة - كوسيط بين الفرد والدولة - فإنها توفر أساساً ضرورياً للديمقراطية، وتوحيد المجتمع في إطـــــار عقلاني لا يمكن أن يتحقق في ظل الانقسام الطائفي"(6).
ويقول : "الـعـلـمـانـيـة هي الـطـريق الوحيد لتحقيق وحدة المجتمع ، وإلغاء الانقسامات العامودية، مثل العشائرية، والعرفية، والقطرية، إلى جانب الطائفية" (7).
ولست أدري هل غفل هؤلاء عن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف - والتي استمرت لمدة تقرب من الأربعة عشر قرناً - وعـــاش فـي ظلـهـا غير المسلمين أحسن من عيشتهم في ظل دياناتهم ، مع أن الصليبيين حينما احتلوا الأندلـــس لم يبقـــوا فيها مسلماً واحداً ظاهراً إسلامه على عكس وضع كل الطوائف في الدولة المسلمة، بل إن الـيهـــــود استمروا تحت حكم هذه الدولة الإسلامية على دينهم طوال هذه الفترة.
د- القول بتغير الفتوى بتغير الزمان: فالعلمانيون يذكـــرون هذه القاعدة في أكثر كتاباتهم، ويلفون حولها ويدورون ، ويقيمون الحجج لها، وينقلون الـنـصـوص ، ويحـشــدون أقوال السلف على صحتها وأهميتها، وهذه قاعدة صحيحة لا غبار علـيـهـــا، وقد بحثهـا علماء الإسلام بحثاً دقيقاً وأصّلوها تأصيلاً شرعياً، ولم تحتجْ الأمة إلى العلمانـيـيـن كي يذكروها بها، ويفردوا الصفحات في كتبهم لمناقشتها، ولكن من يناقش وهو معظِّم لنـصوص الشريعة ومحترم لها، غير من يناقش لكي يسقط بعض أحكام الشريعة، ولهذا لم يـــورد العلمانيون أن هذه الفتاوى التي تتغير بتغير الزمان والمكان إنما هي الفتاوى الاجتهاديـــــة في أحكـــام المعاملات ، أما العبادات وأحكام الأسرة والمواريث فهي ثابتة لا تتغير "ونص هذه القاعدة عام في ظاهره ، فالتغير في الظاهر شامل للأحكام النصية وغيرها، ولكن هذا العمـــوم لـيـس مقـصــوداً ؛ لأنه اتفقت كلمة الفقهاء على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخـــلاق الناس إنما هي الأحكام الاجتهادية فقط ، المبنية على المصلحة، أو على القياس أو علـــى العرف ، أو على العادة، وعلى ذلك فالأحكام النصية ثابتة لا تقبل التغيير، ولا تدخـــل تحت هـــــذه القـاعـــــدة وقد رأى بعضهم أن يكون نص القاعدة "لا يُنكر تغير الأحـكــام الاجتهادية بتغير الزمان" دفعاً لهذا اللبس

وهذا قيد حسن"(8)، وعموماً ففتاوى علمائنـــا شاهدة على تطبيق هذه القاعدة بدون أن يلفت العلمانيون انتباههم إليها.

الهوامش :

1 - بل إن بعض الاحزاب أصدرت أوامر إلى بعض مفكريها بأن يطرحوا أنفسهم من جديد بشكل إسلامي .
2- فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ص39-40.
3- انظر : العلمانية والدولة الدينية لشبلي العيسمي ، ص10 ، وص180 ومراجع أخرى، وكثيراً ما تُذكر هذه القاعدة في كتب العلمانيين وأشباه العلمانيين ، ورداً على هذه الشبهة يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "أحمد بن حنبل" ، ص359 أن هذا الرأي "رأي شاذ بين علماء الجماعة الإسلامية" ، ويقول في صفحة 363 عن الطوفي واتهامه بالتشيع "إن مهاجمته للنصوص ونشر فكرة نسخها أو تخصيصها بالمصالح هو أسلوب شيعي..." نقلاً عن مفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد.
4- العلمانية والدولة الدينية ، شبلي العيسمي ، ص140.
5- راجع فصول الاجتهاد وأحكامه في كتب أصول الفقه ، وكتاب إعلام الموقعين ، لابن القيم ، حول ضوابط الاجتهاد ومجالاته وشروطه.
6- مجلة "فكر" ، فبراير عام 85م ، مقال مفهوم العلمانية، ص71 ، بقلم فضل شلق .
7- مجلة "فكر" ، فبراير عام 85م ، مقال مفهوم العلمانية، ص74، بقلم فضل شلق.
8- الوجيز في إيضاح قواعد اللغة الكلية ، د.محمد صدقي البورنو ، ص254، وانظر في تبيين مسألة تغير الفتوى بتغير الزمان رسالة "الاجتهاد" للشيخ صالح الفوزان ، وانظرها في مواضعها في كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية.

حُسن السؤال .. نصف العلم

سعود بن عيد الجربوعي

روى الإمام البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قـــال : »إن الله حـــــرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ، ومنعاً وهات : وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال«(1) .

هذا الحديث الشريف شامل لبيان جمل مهمة عـــــن المحرمات ، والمكروهات التي يجب على المرء المسلم أن يتجنبها، ويتحتم عليه أن يباعـــد نفسه عنها، وأن يحذر من مقارفتها أشد الحذر. أما قوله -صلى الله عليه وسلم- : »وكثرة السؤال«.. فقد قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عند

شرحه لهذا الحديث ما نصه: "وقد ثبت عن جمع من السلف كراهته تكلف المسائل التي يستحيل وقوعها عادة، أو يندر جـــــداً، وإنما كرهوا ذلك لما فيه من التنطع ، والقول بالظن ، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ"(2). فالتنطع في السؤال وتكلفه ، والسؤال عن الأغلوطات ، والأمور المشكلات ، وما ليس للمرء حاجة فيه من الأمور - أمر منهي عنه ، ومحذر منه لما فيه من حصول الزلل والغلط ، وقد روي عن الحسن البصري قوله : "شرار عباد الله ينتقون شرار المسائل يُعَمّون بها عـبــاد الله"، كما روي عن مالك قوله : "قال رجل (للشعبي) : إني خبأت لك مسائل. فقال : خبّئها لإبليس حتى تلقاه ، فتسأله عنها"(3)، وقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ما يدل على أن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ما سألوا رسول الله -صلى الله عـلـيــه وسلم- إلا عن ثلاث عشرة مسألة، كلهن في القرآن ، وأنهم ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم(4). ومراده بقوله : "ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة"، أي : المسائل التي حكاها الله في الـقـرآن عنهم ، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها وبيَّن لهم أحكامها بالسنة لا تكاد تحصى كما بينه ابن القيم - رحمه الله - (5) .

يقول سيد قطب - رحمـه الله - عـنــد تفسيره لقوله - تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ))[المائدة:101] : "لقد جاء هذا القرآن لا ليقرر عقيدة فحسب ، ولا ليشير إلى شريعة فحسب ، ولكن كذلك ليبري أمة وينشئ مجتمعاً وهو هنا يعلمهم آداب السؤال وحدود البحث ، ومنهج المعرفة. وما دام الله - سبحانه - هو الذي ينزل هذه الشريعة، ويخبر بالغيب ، فـمـــن الأدب أن يـترك العبيد لحكمته تفصيل تلك الشريعة، أو إجمالها.. لا ليشددوا على أنفسهم بتنصيص الـنـصـــوص، والجــــري وراء الاحتمالات والفروض.. (6) ، ولكن طائفة من الناس لا يدركون هذا المعنى ، فيقـع منهم شيء من التنطع والتكلف . إما للإغراب ، أو التشكيك أو إرادة الامتحان أو الاستهــزاء، ومع ذلك كانوا يقابلون من العلماء بحسن الرد، فيُلجمونهم أشد الإلجام ، ويُسكتونهم أيما إسكات ، بردود تظهر فيها الحكمة، وحسن التخلص مع التربية والتأديب ، ومن ذلك : مـــا رواه (اللالكائي) بسنده عن (جعفر بن عبد الله) قال : "جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله : ((الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى))[طه:5] ، فكيف استوى؟ قال : فـمـــا رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته ، وعلاه الرحضاء - يعني العرق - قال: وأطرق القوم ، وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه. قال : فسُرِّي عن (مالك) فقال : "الكـيـف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً" . فأمر به فأُخرج" (7).

وروى (القاضي عياض) في : (ترتيب المدارك)(8): قال حبيب : كنا جلوساً عند (زياد) (9)، فأتاه كتاب من بعض الملوك ، فمد مدة، فكتب فيه ، ثم طبع الكتاب ، ونفذ به مع الرســــــول. فقال زياد: ألا تدرون عما سأل صاحب هذا الكتاب؟ سأل عن كفتي ميزان الأعمال يوم القيامة: أمن ذهب ، أم من وَرِق؟ فكتبت إليه: حدثنا مالك عن ابن شهاب، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه«، وسترد فتعْلَم .

وردت عبارات كثيرة عن الأئمة تدل على كراهية السؤال عما لا ينفع السائل ، فمن ذلك ما روي عن الإمام أحمد - رحمه الله - قال : "سألني رجل مرة عن "يأجوج ومأجوج ": أمـسـلـمــون؟ فقلت له : أحكمتَ العلم حتى تسأل عن ذا؟" (10).. هذا من جانب ومن جانب آخر نجد بعض الناس لا يبالون بما يفعلون ، ولا يسألون عما يجهلون من أحكام دينهم وأمور دنياهم ، فنراهم يتخبطون في مستنقعات الردى، وينزلقون في مزالق الذنب والمعصية، بسبب البعد عن شريعة الله - سبحانه وتعالى - وإغفال السؤال عن حكم الله ، وحكم رسوله -صلى الله عليه وسلم- في الأعمال قبل القيام بها، مما يؤدي إلى كثرة وقوع الحوادث المخالفة، التي لا أصل لها في الكتاب والسنة.

يقول ابن رجب - رحـمــه الله - : "واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة، إنما هن من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله ، واجتناب نواهي الله ورسوله ، فلو أن من أراد أن يعمل عملاً سأل عما شرعه الله - تعالى - في ذلك العمل فامتثله ، وعما نهى عنه فيه فاجتنبه : وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة.

وإنما يعمل العامل بمـقـتـضى رأيه وهواه ، فتقع الحوادث عامتها مخالفة لما شرعه الله ، وربما عسر ردها إلى الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها (11)، لذا وجب على المرء المسلم أن يتورع عن الســـؤال الذي لا حاجة له به ولا نفع ، وأن يهتم بالسؤال عن الأمور النافعة التي يقوم بحسن القيام بها أَوَد أعماله ، وأقواله وأحواله ، وما يؤدي إلى معرفة ما يجب عليه من أمور عباداته ومعاملاته ، والعلم بالله وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره، مع المحافظة على لـــزوم الحدود الشرعية، والآداب العلمية عند السؤال، وليعلم أن العلم سؤال وجواب ، وأن حسن السؤال نصف العلم .

الهوامش :

1- انظر:صحيح البخاري (كتاب:الأدب)، باب: عقوق الوالدين من الكبائر (8/5)، ط . المنيرية .
2- انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (10/421)، ط. دار الريان، المكتبة السلفية.
3- انظر هذين الأثرين في كتاب:"الآداب الشرعية والمنح المرعية" لابـن مـفـلـــح الحنبلي (2/82) ، ط.دار العلم للجميع ، سنة1972م.

4- انظر نص كلامه في (سنن الدارِمي)(1/63) ، باب (كراهية الفُتيا)، ط.دار الريان للتراث.
5- وذلك فـي كـتابـه القيم : "إعلام الموقعين عن رب العالمين"(1/77)،ط.دار الفكر عام 1374هـ ، هـذا ، وقد ذكر - رحمه الله - في آخر كتابه المشار إليه فصلاً ذكر فيه عدداً كبيرًا مـن المسائل التي سُئل عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفتى فيها، وقال في أوله : ""فصل" ولنختم الكتاب بذكر فصول يسير قدرها، عظيم أمرها، من فتاوى إمام المفـتـين ، ورسول رب العالمين ، تكون روحاً لهذا الكتاب ، ورقماً على جلة هذا التأليف.." ثم سرد ذلك فجاء في زهاء 152 صفحة من الكتاب.
6- انظر: في ظلال القرآن ،2/986 ، ط.دار العلم ، ودار الشروق ، الطبعة الثانية عشرة، سنة 1406هـ .
7- شـــرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (8/398) نشر دار طـيـبــة (بالريـاض). قال المحقق (أحمد سعد حمدان) : قال ابن تيمية في الفتاوى (5/365): "ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك".
8- 3/120 ، ط.المغربية.
9- هو : زياد بن عـبـــد الرحمن ، أحد تلاميذ الإمام (مالك)، وهو أول مَن أدخل إلى الأندلس (موطأ مـالـك) متفـقـهاً بالسماع منه ، ثم تلاه (يحيى بن يحيى) .. انظر : (ترتيب المدارك)، 3/116 وما بعدها.
10- انظر : الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي ، 2/76.
11- انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، ص94 ، عند شرحه للحديث التاسع .

موسى بين يدي الخضِر (عليهما السلام) دروس في أدب الطلب

خالد بن صالح السيف

ربما كانت الكتابة عن الـعـلـم الـشـرعــي - مـن حيث كونه ضرورة لاستقامة حياة الأمة بمجموعها وآحادها - أمراً مكروراً بَلْهَ مما يستظهر حفـظـاً من لدن صغار طلاب العلم قبل كبارهم ، وإن كان مثل هذا التكرار يحمد ويؤكد عليه إلا أن محاولـة جعل هذا المحفوظ "العلم الشرعي" واقعاً يعيشه المتعلم في شتى تصرفاته، آكد في بذل الوسع لتحقيقه، حيث إن مقتضى العلم العمل،والنصوص من صريح القرآن وصحيح السنة متضافرة في هذا الباب، أمــا الآثـــار التي تواترت عن سلف هذه الأمة فهي من الاشتهار بمكان. فقد

قال عمر بن الخطاب -رضـــي الله عنه - : "لا يغرركم من قرأ القرآن ولكن انظروا إلى مَن يعمل به"، وقال مالك بن دينار - رحمه الله - : "تلقى الرجل ما يلحن حرفاً وعمله لحن كله" ! . كما أن العلماء عُـنـوا بهذا عناية فائقة سواء بإفراد مصنَّف مستقل كالخطيب البغدادي - رحمه الله - في كتابه "اقتضاء العلم العمل" . أو بتضمين الكتاب باباً كما هو الحال عند ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" حيث عقد : "باب جامع القول في العمل بالعلم".
أو بتناوله مبثوثاً في تضاعيف الكتاب كصنعة ابن رجب في كتابه "فضل علم السلف على علم الخلف" وصنعة ابن القيم في كتابه "مفتاح دار السعادة" وغيرهم كثير.
وقبل تجاوز هذه الـتـقـدمـــة دعونا نتأمل قراءة ما خطّه ابن جماعة في هذا الشأن حيث كتب: "واعلم أن جميع ما ذُكــر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجـــه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم ، لا مَن طلبه لسوء نية أو خبث طويَّة أو لأغــــراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلب"(1) .
وبعد: فإن كل الذي سأتناوله في هذه الـمـقـالــة لا يعدو أن يكون جزءاً من مفردات العلم الشرعي وطلبه إذ الحاجة إليه ملحة في أيامنا هذه حيث "الجُثُوّ على الركب.. ومجالسة الأشياخ" ظاهرة تستدعي أُنسنا واحتفالنا ومن قـبــــل الاطمئنان على مسيرة هذه الصحوة المباركة وهي آخذة بهذا المسلك الذي يفضي بها إلـى استقامة في المنهج ، مع رسوخه في ثوابته ، حيث مصدرية التلقي -الكتاب والسنة-وســـلامة الاستدلال "وفق فهم السلف " فالجزئية التي سأجيء عليها هي جملة من آداب الطـلـب قصرتها على ما كان بين موسى والخضر -عليهما السلام - في القصة الشهيرة التي جاءت في سورة الكهف ، وحديث أبي بن كعب الطويل بأطرافه(2)، ولم أرد استيفاء الآداب عامة؛ فذلك له مفرداته في التأليف وقد كُهفينا المؤونة(3).

لماذا أدب الطلب ؟

أجمل الإجابة عن هذا السؤال المشروع الشيخ بكر أبو زيد بالقول : بأن الآداب "تهذب الطالب ، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمْل العلم وأدبه مع نفسه ، ومع مدرّسه ، ودرسه وزميله ، وكتابه وثمرة علمه ، وهكذا في مراحل حياته" . وإن غاب هذا الأدب في مراحل حياة الطالب كـلـهـا تكون "نواقضها مجموعة آفات ، فإذا فات أدب منها اقترف المفرط آفة من آفاته فمقل ومـسـتـكـثــر، وكـمـــا أن هذه الآداب درجات صاعدة إلى السنة فالوجوب ، فنواقضها دركات هابطة إلى الكراهة فالتحريم (4) وهكذا ندرك الأسباب التي دفعت علماء الأمة من السلف إلى الاعتناء بشأن أدب الطلب في مقدمات كتبهم - فضلاً عما أفرد - وتأكيدهم على ذلك بفواتح دروسهم

ومـــا خبر تخصيصهم لدروس مستقلة في هذا يستهلون بها حلقاتهم بأمر خفي.
لست أدري.. أتقوم قائمة لعلم بتجرد طلابه مـــن أدب الطلب؟ أم ثمة علم نافع لا يورث أدباً!! والإجابة عن كلا التساؤلين بالنفي.
فللعلم عند أهله صيانة وقد روى الخطيب - رحـمـه الله تعالـى - بـسـنـده عن حمدان بن الأصبهاني قال : "كنت عند شريك ، فأتاه بعض ولد المهدي فاستند إلى الحائط وسأل عن حديث ، فلم يلتفت إليه ، فأعاد عليه ، فلم يلتفت إليه. فقال : كأنك تستخــف بأولاد الخلافة ؟ ، قال : لا، ولكن العلم أزيد عند أهله من أن يضيعوه. قال : فجثا على ركبتيه ، ثم سأل، فقال : شريك : هكذا يُطلب العلم"(5).

للعلم رحلة ومجاهدة :

لم تكن رحلة موسى - عليه السلام - إلا أثراً لما كان منه هو، إذ إنه كان في ملأ من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى : لا. فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية ،..هذا عند البخاري وعند مسلم (6) من وجه آخر عن ابن إسحاق بلفظ : "ما أعلم فـي الأرض رجلاً خيراً أو أعلم مني" ، فمجيء هذه الرحلة رغبة في الاستزادة من العلم وحـثّاً على التواضع وحرصاً على طلب العلم "وليس قول موسى - عليه السلام - : أنا أعلم كقول آحاد الناس مثل ذلك ولا نتيجة قوله كنتيجة قولهم فإن نتيجة قولهم العُجب والكبر، ونتيجة قوله المزيد من العلم والحث على التواضع ، والحرص على طلب العلم"(7) كما أنها - الرحلة - وحي أوحاه الله إليه من بعد أن "عتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك"(8) فالرحلة في مجملها استجابة لأمر الله - تعالى - وإيقافاً لموسى - عليه السلام - على ما لم يقف عليه من قبل مع ما ذكر سلفاً من الاستزادة من العلم والحث على التواضع والحرص على الطلب إضافة إلى جملة الآداب التي أصبحت هدياً لمن سلك فجاج العلم أو سمْتاً لهم.
لقد جاءت الرحلات في طلب العلم اقتفاءً لأثر موسى في رحلته التي خلدها القرآن الكريم ، واستتبعتها السنة مسلكاً شرعياً، وأثر هذا باقٍ عـلـى وجه أخص عند سلف هذه الأمة - رضـي الله عـنـهـم - بمـجــرد تصـفـحـك لكـتـاب الخطيب البغدادي "الرحلة في طالب الحديث"(9) تظفر بعدد من الرحلات تبين علو الهـمة في استسهال وعورة الجادة وتكبد مشاق وعثاء السفر، وائتلاف الغربة. كل ذلك التماســاً للعلم ورغبة في أن يسهل الله به طريقاً إلى الجنة وفي هذا المبتغى ودونه خرط القتَاد.

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : "ما أنزلت آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ولو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل والمطايا لأتيته"(10).
ومن أشهر الرحلات رحلة جابر بن عبد الله - رضي الله عـنــــه - رواها مسلم في كتاب الجنة، (ج4 ، رقم الحديث 56) . ورحلة أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - رواها مسلم في كتاب البر، (ج4 ، رقم الحديث 58) . وكلاهما فـي رحلتيهما لـسـمـــاع حديث واحد.
وثمة آثار عند سلف هذه الأمة جاءت لتأكيد أمر الرحلة في طلب العلم عامة والحـديــث خاصة تجدها مبسوطة في سِفْر الخطيب البغدادي "الرحلة في طلب الحديث" وانظرها عند ابن الـصـــلاح في علوم الحديث ، وعند العراقي في شرح ألفيته ، وأيضاً عند السيوطي في التدريب.

الخطيب البغدادي.. ومجمل الآداب :

نبدأ أولاً فـي "عمـلـية جمعنا" للآداب التي نستفيدها من قصة موسى والخضر - عليهما السلام - بالخطيب وقد أجملها بقوله : "قال بعض أهل العلم ، إن فيما عاناه موسى من الدأب والسفر والصبر عليه من التواضع والخضوع للخضر، بعد معاناة قصده ، مع محل موسى من الله وموضـعــه من كرامته وشرف نبوته -دلالة على ارتفاع قدر العلم ، وعلو منزلة أهله ، وحسن التواضـع لمن يُلتمس منه ويؤخذ عنه ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحد بارتفاع درجة وسمو مـنـزلـــة - لسبق إلى ذلك موسى، فلما أظهر الجد والاجتهاد والانزعاج عن العطن ، والحرص على الاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم ما هو غائب عنه دل على أنـــه لـيـس في الخلق من يعلو على هذه الحال ولا يكبر عنها"(11) .

السعدي.. ومفصّل الآداب :

ويجئ من بعد الحافظ البغدادي العلاَّمة الـسـعـدي ليفصل هذا المجمل ويزيد في استقراء الفوائد والأحكام والقواعد ، أقتصر منها على ما يخص هذه المقالة بتصرف يسير (12) :
1 - فضيلة العلم والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور: رحل موسى - عليه السلام - مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم،واختار السفر لزيادة العلم على ذلك .
2- البدء بالأهم فالأهم ، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك ، والاشـتـغـــال بالتعليم دون تزود من العلم والجمع بين الأمرين أكمل.
3- أن المسافر لطلب العلم أو جهاده أو نحوه ، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه وأين يريد فإنه أكمل من كتمه ؛ لأن في إظهاره فوائد من الاستعداد له ، واتخاذ عدته ، وإتيان الأمر على بصيرة، وإظهار الشوق لهذه العبادة

الجليلة كما قال موسى : ((لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً)) [الكهف:60] .
4 - أن المعونة تتنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به ، وأن الموافق لأمر الله يعاني ما لا يعانيه غيره ؛ لقوله : ((لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً))[الكهف:62] .
والإشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين ، أما الأول فلم يشتكِ منه التعب - مع طوله - لأنه هو السفر على الحقيقة. وأما الأخير فالظاهر أنه بعض يوم ؛ لأنها فقدا الحوت حين آويا إلى الصخرة .
5- التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب لقول موسى - عليه السلام -: ((هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً))[الكهف:66] فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، أي : هل تأذن في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر الذين لا يُظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه. بل يدَّعون أنهم يتعاونون هم وإياه ! ، بل ربما ظن أحدهم أنه يُعلم معلمه ، وهو جاهل جداً، فالذل للمعلم ، وإظهار الحاجة إلى علمه من أنفع الأشياء للمتعلمين.
6- أن تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه يكون ممن مهر فيه -وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة - فإن موسى - عليه السلام - وهو من أولي العزم من المرسلين الذين منحهم الله ، وأعطاهم من العلم ما لم يعطِ سواهم ؛ فعلى هذا لا ينبغي للفقيه المحدث - إذا كان قاصراً في عالم النحو أو الصرف ، أو نحوهما من العلوم - أن لا يتعلم ممن مهر وإن لم يكن محدثاً ولا فقيهاً.
7- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله - تعالى - والإقرار بذلك ، وشكر الله بقوله : ((تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ))[الكهف:66] ، أي مما علّمك الله - تعالى - .
8- أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك فإنه من العلم النافع ، وما سوى ذلك فإما أن يكون ضاراً أو ليس منه فائدة لقوله:((أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً))[الكهف:66].
9- أن مَن ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم ، وحسن الثبات على ذلك ليس أهلاً لتلقِّي العلم ، فمَن لا صبر له لا يدرك العلم ، ومن استعمل الصبر ولازمه أدركَ به كل أمر سعى إليه؛ لقول الخضر:((ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً))[الكهف:82].
10- الأمر بالتأني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو مقصود.
11- أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيعازه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن

المصلحة تتبع ، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن السؤال عن دقيق الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه ، أو يسأل سؤالاً لا يتعلق بموضع البحث.
12 - أن الإنسان غير مؤاخذ بنسيان ، لا في حق الله ولا في حقوق العباد ؛ لقوله : ((لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ))[الكهف:73] .
13- أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو وما سمحت به أنفسهم ، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون ، أو يشدد عليهم ويرهقهم فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة ، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر .
14- وفي القصة تبدو القاعدتان الكبيرتان الجليتان التاليتان :
* الأولى : وهي أنه : "يُدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير" وتراعَى أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حي يفتن أبويه عن دينهما أعظم شراً منه ، وبقاء الغلام من دون قتل ، وعصمته وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه وإيمانهما خير من ذلك ، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحُم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.
* الثانية : وهي أن "عمل الإنسان في مال غيره إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة أنه يجوز - ولو بلا إذن - حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير، كما خرق الخضر السفينة لتعيب فتسلم من غضب الملك الظالم.
15 - استعمال الأدب مع الله - تعالى - في الألفاظ : فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله ((فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا))[الكهف:79] وأما الخير فأضافه إلى الله - تعالى - لقوله : ((فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ))[الكهف:82] .

ابن حجر ودقيق الاستنباط :

وننتهي عند الحافظ ابن حجر (13) في دقيق استنباطه لننقل - كما فعلنا مع سابقيه - عنه بشيء من التصرف من آداب الطلب مع الحرص على تجاوز التكرار :
أولاً: الترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم لأن ما يُغتبط به تحتمل المشقة فيه ، ولأن موسى - عليه الصلاة والسلام - لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله.
ثانياً: التنبيه لمن زكّى نفسه أن يسلك مسلك التواضع ولزومه في كل حال.
ثالثاً: أن الأنبياء ومَن دونهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علّمهم الله ، إذ لو كان الخضر يعلم كل غيب لعرف موسى قبل أن يسأله كما في : فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال : أنا موسى.

رابعاً: وجـــوب التأني عند الإنكار في المحتملات ، فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء مما يناقض الشرع ، وإن نقص لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللـوح جائز شرعاً وعقلاً ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر، وقد وقع ذلك واضحاً في رواية أبي إسحق، التي أخرجها مسلم ولفظه : "فإذا جاء الذي يشرها فوجدها منخرقة تجاوزها فأصلحها. أما قتله الغلام فلعله كان في تلك الشريعة. وأما إقامة الجدار فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان والله أعلم".

وأخيراً.. ((فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ))[الأنعام:90] :

وعقب هـــذه الحـصـيـلة المباركة من الدروس - في أدب الطلب - التي استنبطها علماؤنا "البغدادي ، وابن حـجـــر، والسعدي" - رحمهم الله جميعاً - من قصة موسى - عليه السلام - والتي جاءت في مجموعها مصابيح يستضئ بها أبناء أمتنا على امتداد طريقهم في طلب العلم الشرعي ، حيث الأمر في قوله - تعالى - لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: ((أُوْلَئِكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ))[الأنعام:90] ، "وموسى - عليه السلام - منهم فتدخل أمة النبي -صلى الله عليه وسلم- تحت هذا الأمر إلا فيما ثبت نسخه" (14) .

وحسبي من هذه المقالة - التي كنت فيها جامعاً ليس غير - أن تجد هذه القصة بدروسها المستفيضة عناية من لدن المشتغلين بالعلم الشرعي،وطلابهم والتأكيد على درسها وتدريسها في حلقة العلم حيث المساجد، وفي المدرجات حيث المدارس والجامعات.

وإن كنت أذكر في هذا السياق أن ثَم دروساً في أدب الطلب كثيرة - يجمعها من قبل هدي المصطفى ، وما كان من أصحابه بين يديه ، وما كان أيضاً من تابعيهم بين أيديهم وهكذا فيمن جاء من بعدهم استناناً بمسلكهم .

وأخيراً.. فلا ريب أن دروساً لم تزل بعد مكتنزة في ثنايا "قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام -" ولعلنا نعدم من يبدأ من حيث انتهى علماؤنا "فكم ترك الأول للآخر من شيء".

الهوامش :

1- تذكرة السامع والمتكلم ، ص13.

2- أخرجه البخاري في كتاب العلم من "صحيحه" وأخرج أطرافه في مواضع كثيرة منه (انظر : الفتح ، 1/263) وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل من "صحيحه" (انظر : شرح النووي 15/135) .

3- حلية طالب العلم ، بكر أبو زيد ، ص5 ، الهامش.

4- المصدر نفسه ، ص4.

5- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 1/198.

6- هامش2.

7- من كلام لابن المنير نقلاً عن الفتح ، 1/265.

8- انظر : هامش2.
9- ربما تملّكك العجب إذا علمت أن الحافظ البغدادي في هذا الكتاب إنما خصه في الرحلة من لدن أهل الحديث لطلب الحديث الواحد، فأي مجلدات سيبلغ هذا الكتاب لو أراد الرحلة في طلب الحديث جملة ؟!
10- البخاري في فضائل القرآن ، 6/186، ومسلم في الفضائل 7/148.
11- الخطيب في الرحلة ، ص107.
12 - العلامة السعدي.
13- فتح الباري ، 1/203،204،210،268.
14- فتح الباري ، 1/210.

البيان الأدبي

نوافذ الوجع في ديوان "صراع مع النفس" (*)

بقلم: محمد شلاّل الحناحنة

كيف نحدد الحزن على خارطة المشاعر.. كيف نرنو لسروة الروح ودمنا يتصفد حاراً في العروق؟! كيف نهز تفاحة الشعر لنقترب من الأرض ، ونؤاخيها بدلاً من أن نؤطِّر الصراع معها؟! لِمَ ننزف هذا الشجى فجأة لنقطف وردة ؟ أو نؤلب أبجدية النفس لمزيد من صفاء الفكر ؟!
هذا ما فاح عليَّ أثناء قراءتي لديوان "صراع مع النفس" لشاعرنا الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي. هذا الديوان يجعلك تلوّح من بعيد لأزهار الأسئلة، تنتفض كطائر جريح أمام حسرة الفجائع ، إنه الألم المترع بالآهات والعذاب وهو بعد ذلك غصة تمتطي القلب :

"«وتلك بعض نفسي
في فرحتي وبؤسي
تدق من ألحانها
لحزنها بجرسِ
كتبتها (قصائداً)
لتستريح نفسي»

هذا الحزن الصافي الذي ينشده عبد الرحمن العشماوي لا يرتطم بعبثية الموقف ، ولا يندحر أمام "مازوخية" ، مَرَضية في تعذيب الذات كما تحطمت نفسيات كثير من الشعراء التائهين الضالين بين لُجج الفكر المنحرف المستهلَك ، وهو بعد ذلك لا يروم في حزنه عبر ضبابية تنصهر على مذابح السريالية .
إنه يستدرك التساؤل المرير عن سر صراعه وألمه :

لكنني بشريعتي أحيا على درب اليقـيـــن
أنا عاشق للقمة الشمَّاء للحبـل الـمـتـيـــن
لكتابي السامي ويكفيني به شرفاً وديــــنِ«
أليست هذه الأوبة، أوبة الواثقين المتمسكين بحبل الله الـمـتـيــن، أليس هذا العشق عشقاً لليقين ، عشقاً للمعاني الخالدة، والقيم الإسلامية المثلى .
حـقـاً ، مـا كـان هذا صراعاً بقدر ما هو مشاعر إسلامية تتوثب ، كأن أحلاماً جميلة واثقة تترعرع ، وحنيناً متوقداً لشرفات الفضيلة ، وعزماً يؤوب إلى الخلود :

نـهـوى شـبـابـاً شـاعـــريَّ الـحــــسِّ مـوفـــورَ الحـنـين
مـتــوقــد الــعــزمــــــات شرف وذا خـــلـــق وديـــــن
ذا يـعـلـــو بديـــن الله فـي صـف الـرجـــــال الخالدين

إنها الانطلاقة نحو عزيمة صادقة، تتدفق بالأحاسيس الواعــــدة شمماً وتشهد لهذا الشمم غايات تفضي إلى غايات خصيبة :

ومشاعر الإيمان تسقي أرض أحلامـي الخصيبة
فمضيت أدعو أمتي لترد أوطاننا الـسـلـيـبـــة
يـا أمـتـي سِـيـري فكأس النصر دانية خصيبة

أما رموزه فـهـي شفـيـفـة قـريـبـة قـرب الندى لشفاه الورود، وقرب الفكر الإسلامي لفطرة الإنسان ، فيها بساطة متميزة، ويقظة صادقة لجراح دفينة، فتلك شجرة لوز مخضرة ندية العود، إلا أنه لا يلبث أن يعريها الظمأ والغياب عن ذبول ويباس :

أسقطت أغصانك الخضراء أحداث الدهور
وتـوارى حسـنك المحبوب في ظل العصور
لم تعودي بسـمـــة الـــروض وهيفـاء الغدير
أين أغصانك ذات الرقـص في عـز الجذور
هكذا استسلمت في يأس فأيقـظـت شعوري
وأسلت الدمعة الحسناء من جفنى الكسير
هكذا ذكرتني بالخالق الحي القدير

هكذا ينزّ الوجع عبر هذه المعادلة المرة، هــذه الـمـعـادلـة الـتـي صـاغـهـا شاعرنا متوجعاً ومستشرفاً رموزه المغرقة بالأنين ، إنه وحدة المصير للكائنات الحية جمـيـعـاً ولكن الإنسان بـمـا منحه هذا الخالق المبدع من تكريم وتقدير هو المعني الأوحد بهذا المصير، أما بـقـيـــة الـمـخـلـوقـات فسخرها الرحمن بشكل أو بآخر لهذا الإنسان الذي كرمه ونعمه! وإن كان الموت نهاية هذا الوجود الدنيوي ، وهو مقدمة لما بعده من حياة أخرى، فما بالنا نتكالب على الحيـاة الفانية ونعرض عن الحياة الخالدة، أو ليس هذا ظلماً لأنفسنا، وهل بعد هذا الظلم من ظلم!!

وتمضي القصائـد في اقتناص دهشتها من عصارة القلب ، ناشرة حسرتها ولواعجها المؤلمة، إلا أنها أخيراً تركن إلى مجد هذا الدين ، وتأوي إلى عالم الأسرار :

« لا تسألي عــــن ضـيـق صــدري
أنا مغـرم بخـــلاص أســـــــري
أفضي وايـمـانـــي قـــريـنـــي
والـهـدايـة رأس أمـــــــــــري
أنـــا لــســت إلا مــؤمــنـــــاً
بـالله فـي ســـري وجـهـــــري

نسمات من الإيمان يعزفها شاعرنا العشماوي ، وذكريات حزينة رهيفة يرويها بعطر دمه ، فتتوهج الضلوع ببوح شفيف عبر قصائده ، ويوشوش بخواطره الدافئة أغصان القلوب،وهي تـجــدف لبث عبيرها الإيحائي من خلال صور شعرية مكثفة ونابضة بالحياة، يرف مــع رفيف طيور الأسى، ويشدد للشمس أوجاعه وآلامه الحرّى :

« فابسمي يا شـمــس لـلـولـهـــان
لـلـــــقـــلـــــــب الـكـئـيـــب
كــل نجم ســــوف يـغـفــــــو
بـيـن أحـضــــان الـمـغـيــــب »

الهوامش:

* صراع مع النفس للشاعر الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي.

صرخة ألم في وجه الأمة

فيصل محمد الحجي

ربي خيولَكِ في بُحْبُحةِ الـــرغـــــــــــدِ لا ترصـديها ليوم الحرب واقـــتـــصـــــدي
وارمي سيوفَكِ كـــــي يقـتـاتَها صــــدأ الفارسُ الـشـهـمُ للـهـيـجـاءِ غـيـــر صَدِ 1
لا تعجبي ف[صـــلاحُ الدين]مِن غدِنـــاقد استقال .. لـكـي نحـيــا بـدون غـــــدِ
ألقى الولاءَ لـ (أرناط) وقال لـــــــــه: جَرِّد حسامَكَ واحْــمِ الأمــنَ فـي بـلـدي
لا لا تلمني.. فإني اليوم مـنـشـغـــــلٌ بالـجـمــعِ والـلـهـــوِ والأزواجِ والــولــدِ

كأنَّه ليس من أحـفـــــــاد مَــــن وَرَدُوا غُرَّ الـمـعــركِ فـي بـــدر وفي أُحـُــــــــدِ
يا أمتي ما أراكِ اليومَ ســائـــــــــرةً على طريق الهدى والـخـيــــــــر والرَّشِـدِ
لِمَ ارتختْ ببني الإسلام أربـطـــــــــةٌ وُثِّقت بذوي الصـلـبـــــــانِ بـالـعُـقَـدِ؟
ولم تعد جمعة الإسلام تـجـمـعـنــــــــا إلا إذا شـــــــاء أهـــلُ السبتِ والأحـــدِ
فأي عِرْقٍ إلى الـكـفــــارِ تـنـسـبـنـــــا؟ بوش بن قحطان؟ أم متران2 سِبط عدي3؟
غـــدا الأذان غـريـبـــاً فـي مسامـعـنـا كـأنـــه الـيــــومَ يدعـــونا إلـى الـفـنَـدِ
كيف اقتدائي؟.. وفي المحراب منتصباً (شـــامـيــــــــرُ) يـقـرأ في تلموده النَّكِدِ؟
ما لي أراكِ إلى الأعـمــاقِ هـاويـــــــةً؟ يا أمـتـــي فـكّـري في الأمر واتَّـئـــــدِي
فما تـقــدمـتِ إلا لـلــــوراءِ .. ومـــــا عـلـــوتِ إلا لــقـــاع الــــــذل والنَّكَدِ
ما أنتِ والـعـقــمُ يا عــــرباء فـي زمن لم تـحـمـلــي فـيــــه أبطالاً ولم تلدي؟
لاالسمـحُ4 يزحف في وجه الغزاة غداً ولا(الرشـيـــــدُ) يـــردُّ الـكيدَ عن بلدي
يُظللني الـمــوت إحساساً .. فــإن سَلِمَتْ ظـهـــري من الطـعـن.. لم أسلم من الكَمَدِ
كــأن كــــلَّ هـمــوم الأرض قد جَمعتْ أشواكَـهـــــا الحُـمْـرَ والنيرانَ في كبدي
ركـعتِ للروم - بـعــد الفرس - راغمةً لو قمتِ بالسيفِ لم تـعـنــي لـمـضـطـهـدِ
فــإن تـمـحَّـض ضِرْعٌ . فـــــاز قيصرهم بـالــزُّبْــد.. وانـشـغــــل الأعرابُ بالزَّبَدِ
أجدادُنــــا الـشُّـمُّ بالأقدامِ قد وَطِـئُــوا هامَ الفراعـيـــنِ أهــلِ الـعــــزِّ والـعَـدَدِ
لأنتِ أعظمُ أهـــل الأرض قـاطـبـــــةً لـــو عـــدتِ معتزةً بالواحدِ الـصــمـــــدِ
أظلُّ رغمَ اربدادِ الليل مـنـتـظــــــــراً فـــجــرَ الـبـشـائـرِ فـي أثـوابِها الجُدُدِ
ما دام قــرآنُ ربي فــي مؤانـســتــــي وسُـنــــــةُ الـمـصـطفى الغراءُ في خَلَـدي
وفتيةٌ قـلـــةٌ فـي الـنـاس قــد نَهَـدُوا لكل حــــــربٍ .. وعـافـوا عيشةَ الرَّغَدِ..
طوفانُ نوحٍ أراح الأرضَ مـــن دنـــسٍ ونحن طوفانُنا المأمولُ فـجـــــر غـــــــدِ

الهوامش:

1) الصدي : العطشان .
2) متران : رئيس وزراء فرنسا .
3) عدي : بطن من بطون قريش ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
4) السمح بن مالك الخولاني من قادة الفتح الإسلامي .

سراي ايفو .. سرايفو

محمود السيد الدغيم

سراي ايفو سرايفو!!

لقد أسقطت عن كل اللئام - الشُّمِّ - أقنعةً تستر مارقاً جَمَحَ
وبانتْ عورةُ القادةْ
وبان القبحُ وانفضحَ
وسادتْ محفل السادةْ
تفاهاتٌ تناستها طلائعُنا، وعافتها ثقافتنا
وغلفها ظلامُ الليل عقب الليلِ والليلِ
فقد كنا وما زلنا مشاةً نحفر السفحَ الذي جُرِحَ
بأقدام الحفاة، الأرضُ تعرفنا
ونعرفها إذا سرنا، وفر القائدُ المشبوهُ وانفضحَ
وتجهل قادةً قادوا على الخيل ، تقاذفهم قوي الموجِ من سيل إلى سيلِ
وما اكترثوا بما عانت حرائرنا !! من الآلام والويلِ
لقد صرخت حرائرنا وما سمعوا
أصمَّ السادةَ الصممُ ، وراودهم على أعراضنا الطمعُ
فما سمعوا صراخ الطفل والغادةْ
لأن الأمر لا يعني سيادتَهم ، ولا يلغي قيادتهم
أتلك شمائل السادةْ؟؟ أتلك شمائل القادةْ؟؟
* * *

سراي ايفو سرايفو

سرايفو عروس العصر تُغتصب ، وتَهتك عِرضَها النُّوبُ
على مرأى دعاة العدلِ ، يا إسلام ! يا عربُ !
يدنِّس عرضها الكروات والصربُ
ويقهرها بجامعها بمسجدها صليبي يهودي تزينُ صدره الأنواط والرتبُ
وأوربا - بلاد العلم - تغمض عينها قصدا لأن الأمر يعنينا
ولا يعني رعاياها
لأن الأمر يخدمها ويفرحها، يخدرنا ويوقظها
وتغدو - بعدما اغتُصبت سرايفو - عروس المجد حاضرةً بلا إسلام تصبح من سباياها

ويصبح شعبها سبياً تقاسمه رعاياها
وأرض العُرب والإسلام حاصرها جنود وسائل الإعلامِ
والتضليل والتدجيل فانتشرت ضحاياها
أماتوا الحس واغتالوا شهامتنا، كما اغتالوا بطولتنا
كما اغتالوا كرامتنا، فلا عشنا ولا متنا
وخدرنا بريق وسائل الإعلام وانتصرت إرادتهم ، فما ضمدت إرادتنا
لقد هُزمت قواعدنا - بحرب وسائل الإعلام فانسحبت - كما هُزمت قيادتنا وما
قنعت أعادينا بما خسرت قبائلنا
بما عانت أراملنا
بما ذاق اليتيم الراحل المحزون من ألم
بما عاناه مغلوب يقاسي وهو مضطرب
فأوربا - بلاد العلم والتصنيع والنقم
أمانيها: إذا متنا يعُمّ ربوعها الطربُ
إذا أعلامنا طويت ،وما خفقت
إذا شجعاننا قتلت ،وما انتصرت
إذا أكبادنا اغتُصبت ،وما انتقمت
إذا قواتنا خُذلت ،وما نُجدت
إذا أفكارنا سقطت ، وما نهضت
إذا أحرارنا قُمعت ، وما قَمعتْ
وعم الذل وانتشرا، ومزق شرقنا الغربُ
فروما سوف تغتبطُ
وكي نحيا شروط الذل تشترطُ
لها في ذلنا أَربُ
ولو أخفت نواياها
ومهما صحبُها كذبوا
لكي يخفوا خفاياها
فقد كانت وما زالت كأفعى حين تتقلبُ
تصب السم في أنهار عالمنا
لكي تقضي على الإسلام والسلمِ
إذا أبطالنا هزموا
تؤجَّج ضدنا الحربُ
وتفقأ كل أعيننا، ويبدأ سلبت جهراً بقانون أقر بنوده الغربُ
وتبقى خلفنا قصص حكايات يرددها هدير الموج والشطُّ
فيحيى سخطَنا سخطُ
وتشرب من دم الأطفال رومانُ

وتنشد جوقة الرومان ملحمة : بروما الآن نغتبطُ
لقد قُتلت سراييفو وعنها القادة الأنذال قد هربوا
صلبناها كصلب القدس والأحزاب تحتزبُ
كذا : فليُصْلَبِ الصلبُ

المسلمون والعالم

كشمير :
أليس لهذا الليل من آخر ؟!

د.يوسف الصغير

الموقع والسكان :

تقع ولايتا "جامو" و"كشمير" شـمـال شـبــه القارة الهندية الباكستانية، وحدودها متاخمة لخمس دول وتحدها باكستان من جزء من شمـالهــا الـغــربي ، ومن غربها، ومن جزء من جنوبها الغربي بطول 700 ميل تقريباً، وتحدها الصين في جــــزء كـبـيــــر من شمالها ومن شرقها، ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي وتحدها الهند في جزء من جنوبها بطول 200 ميل تقريباً، وتبلغ مساحتها 84471 ميلاً مربعاً، وهي بلاد جبلية فيها سهلان أو واديان هما وادي جامو، ووادي كشمير، وهي طيبة المناخ ، كثيرة الأنهار والغابات ، وتنبع منها الأنـهـار التي تروي باكستان ، وهي أنهار السند وجيلم وجناب ، وكان الاســم الـعـربــي القديم لهـا هــــو : "سقف الدنيا" ويتجاوز عدد سكانها " 12" مليون نسمة ، 85% منهم مسلمون ، وهم أغـلـبـية في جميع المناطق حيث تبلغ نسبتهم 90% في وادي كشمير أما في منطقة جاجيت فتبلغ نـسـبـتـهــم 100%، وأشهر القبائل : الشيخ ، والسيد، والمغول ، والباتان ، وهي إسلامية، أما قـبـائـل الـهـنـدوك فأشهرها : بانديت ، وريشي ، وقبائل البانديت متعصبون للبرهمية، ومنهم رئيس الـوزراء الـهـنــدي السابق جواهر لال نهرو، ولغتهم خاصة بهم ، لا تشبه اللغات الهندية، وهي قريبة من الفارسية.

***

دخول الإسلام :

على الرغم من دخول المسلمين الهند، وحكمهم إياها فإن دخول الإسلام إلى كشمير تأخر بـسـبـب مـناعتها، ولكن ملكها البوذي "دنجن شا" اعتنق الإسلام على يد أحد الدعاة، وتسمى باســم "صـــدر الدين" وحكمها الملوك من أبناء كشمير من سنة 1310م حتى سنة 1552م، ثم جاء حكم المغول المسلمين فاستمر حتى سنة 1752م، ثم حكمها الولاة الذين يعيَّنون من أفغانستان، ولما ضعف الحكم الإسلامي في الهند واتسع نفوذ الإنكليز فيها أقام السيخ فيها

دولتهم فـي البنجاب وغزوا كشمير، وأخضعوها، واستمر حكم الشيخ لكشمير "27" عاماً من سنة 1819م حتى سنة 1846م ، وكان عهدهم أسود حيث ساموا المسلمين الخسف وأذلوهم ، وارتكبوا أبشع صور الظلم والجور، وما إن حل العام 1846م حتى كان الإنكليز قد أحكموا سـيـطـرتـهـم على الهند، فطردوا الحكام السيخ من هذه الولاية ليبدأ فصل جديد من فصول الظلم والقـهــر، حيـث قـام الإنكليز ببيع كشمير مع سكانها لأحد الإقطاعيين من منطقة جامو واسمه "غولاب سـنـغ" وهــو من قبائل الدوجره الهندوسية - بمبلغ سبعة ملايين وخمسمائة ألف نانك شاهي ، ولم تتجاوز قيمة الفرد من الشعب سبع روبيات ، وكان البيع لمدة 100 سنة، على أن تنتهي في العام 1946م ، ويُعرف عقد البيع هذا بمعاهدة "أمرتسار" بين "غلاب سنغ" والحاكم البـريـطـانـي "الـلـورد هـادرنغ" ووقع الشعب بأسره فريسة عدة أشخاص من سدنة المعابد، وعبادة الأوثان الذين كـانوا يتقلدون جميع المناصب الرئيسية في الولاية، وكان المسلمون يجبَرون على القيام بأعمال السخرة ، ويدفعون أفدح الضرائب،ولم يكن يسمح للمسلمين بحمل السلاح، وكان ذبح البقر ممنوعاً، ولم يكن يسمح للهندوسي أن يـعـتـنـق الإسـلام إلا إذا تنازل عن كل ما يملك من أرض ، وكانت سياسة الحكومة قائمة على التعسف، والظلم وإرهاق الرعية بالضرائب لكي تشغلهم بالبحث عن قوت يومهم فلا يثورون عليها ، وفي سنة 1929م بلغت الحالة حداً من السوء دفع أحد كبار وزراء المهراجا إلى الاستقالة، ومغادرة البلاد بعد أن أدلى بالتصريح التالي : "إن دولة جمو وكشمير تعاني الجهل التام والـفـقــر وسوء الحالة الاقمصادية والمعيشية، فأهلها عملياً يسيَّرون كالماشية. هنالك أيضاً عزلة الحكومة عن الشعب ، وانعدام الفرص لرفع الظّلامات للمسؤولين" .

في سنة 1931م حصلت بعض الحوادث التي كان لهــا أثـر كبير في مستقبل كشمير، فقد قامت إحدى البلديات بهدم أحد المساجد القديمة، فقام المـسلمون بمحاولة إعادة بنائه ، فقامت قوات المهراجا بإطلاق النار عليهم ، ومنع أحد الأئـمـــة من إلقاء خطبة الجمعة، ودنس أحد ضباط الأمن الهندوسي القرآن الكريم ، وتتالت أحــداث العنف ، وتدخلت القوات الإنكليزية لدعم المهراجا، وفي منتصف أكتوبر سنة 1932م برز إلى الوجود "حزب المؤتمر الوطني الإسلامي" الذي عقد أول مؤتمر برئاسة الشيخ عبد الله ، ومشاركة شودري غلام عباسي ، وكان التناقض بين الرجلين واضحاً منذ البداية، فـبـيـنما كان الشيخ عبد الله يميل إلى حزب المؤتمر الهندي برئاسة غاندي، ويـصــادق نهرو مع أن حزب المؤتمر حزب هندوسي في الأصل ، وإن دخله بعض المسلمين فهو يسـعـى إلى إخراج الإنكليز من الهند لإقامة دولة هندوسية، أما شودري فكان يميل إلى جمعية الـخــلافـــة (الــرابطــة الإسلامية) التي

أنشأها محمد علي جناح وذلك بهدف إقامة كيان خاص بالمسلمين (1)، وفي النهاية تكوَّن حزبان هما :
الأول: الـمـؤتـمـــر الإسلامي ورئيسه شودري غلام عباسي الذي يعكس أهداف الرابطة الإسلامية .
الثاني : المؤتمر الوطــنـــي ورئيسـه الشيخ عبد الله ويأتمر بأوامر حزب المؤتمر الهندي ، وكان شعاره "اخرجوا من كشمير" ويقصد الدوجره ، وذلك على غرار شعار حزب المؤتمر الهندي "اخرجوا من الهند" ويقصد بها الإنكليز.
وكان عام 1946م حاسماً ؛ حيـث انقضت مدة بيع كشمير وكانت الصراعات على أشدها من أجل تحديد مستقبل الهند، وتم وضع شودري وعبد الله في السجن ، وجاءت أحداث سنة 1947م ليخرجا من السجن ، ولكن شودري ذهب إلى الباكستان ، والشيخ عبد الله خرج من السجن لينال رئاسة الوزراء في الولاية.

كشمير وتقسيم الهند :

وأخيراً تم الاتفاق على تقسيم الـمـناطق التي يحكمها الإنكليز بصورة مباشرة بحيث تتبع مناطق الغالبية الإسلامية لدولة باكستان ، وقد أصر الهندوس على تقسيم كل من البنغال ، والبنجاب ، إلى قسمين قبل الشروع بالتقسيم ، ولما وافق محمد علي جناح أخذت الهند البنغال الغربي ، والبنجاب الشرقي وكانت الهند مكونة أيام الاستعمار من جزئين هما:
الأول : جزء يحكمه الإنكليز حكماً مباشراً.
الثاني :565 إمارة يحكمها أمراء من المسلمين ، أو الهندوس ، وكانت تتمتع بالاستقلال الداخلي ، وتحتل هذه المارات 45.3 % من مساحة مشبه القارة الهندية.
ضمن الإنكليز حصول الهندوس على أكبر قـدر ممكن من المكاسب ، حيث تم تعيين اللورد "مونتباتن" -ابن عم الملك - في منصب نائب الملك في الهند الذي خطب - في مجلس أمراء الولايات الهندية - بعد إعلان استقلال الـمستعمرة خطاباً قال فيه : "للولايات الحرية في الانضمام لأية دولة من الدولتين ، ولكنني حين أقول : إن لها حرية الانضمام إلى إحداها أرى لزاماً على نفسي أن أؤكد في الوقـــت ذاته : أن هناك ضرورات جغرافية لا يجوز أن يُصرف عنها النظر البتة، إذ ليس لكم أن تنؤوا بجانبكم عن حكومة الدولة التي هي جارة لكم، كـمــا لـيـس لـكـــم أن تخالـفـوا رغبة الرعايا الذين تتحملون المسؤولية عن فلاحهم وسعادتهم" . وسرعان ما ذابت الإمارات في الهند، وباكستان بدون مشاكل ، ما عدا أربع إمارات هي : كيورتهلة، وجوناكدة، وحيدر آباد، وكشمير.
كيورتهلة : هي إمارة صغيرة يحكمها أمير هندوسي، وأغـلـبـيـــة أهلها مسلمون ،ولما كان الأمير يخاف اعتراض المسلمين على رغبته في الانضمام إلى الهند،

فقد شن حملة من القتل والتشريد، حتى لم يبق من يستطيع الاعتراض عليه ثم أعلن الاندماج في الهند.
جوناكدة : هي إمارة ساحلية صغيرة، تتصل بباكستان عن طريــق الـبحـر، وكان أميرها مسلماً وأكثرية أهلها هندوس ، فأعلن انضمامه إلى باكستان ، فقامت القـــــوات الهندية باجتياح الإمارة، وطردت الحاكم المسلم منها.
حيدر آباد : وتقع في هضبة الدكن وسط الهند ونظراً لكبرها، فقد كان لها وضع خاص ؛ لأن عدد سكانها يزيد على العشرين مليوناً، ومساحتها حوالي 350000 كم2، ولـغـتـهـا الرسمية كانت الأوردية، وكان الأمير المسلم يرغب في الانضمام إلى باكستان ، ولكنه قدَّر صـعـوبة ذلك ، فطلب الاستقلال ، فرفضت الهند، فاقترح الاستفتاء، فأعادت الرفض ، كما رفضت استفتاء الأمم المتحدة ، وقامت بالهجوم عليها في 14 من أيلول سنة 1948م ثم استولت عليها بعد مقاومة ضئيلة .
كشمير : ذكرنا سابقاً أن الهندوس أصروا على تقسيم البنجاب إلى قسمين ، بحيث يصبح المسلمون أقلية في أحدهما ، وهو الشرقي حيث إن غالبية سكانه من السيخ ، والهندوس ، وقد قام السيخ بحملة وحشية على المسلمين قتل فيها عشرات الألوف منهم ، وفي النهاية لم يبــق للمسلمين وجود في البنجاب الشرقي ، أما في كشمير المجاورة فإن المهراجا قام بتمثيل دورين مختلفين هما :
الأول : عقد المهراجــا اتفاقاً مع حكومة باكستان في 15 من آب (أغسطس) سنة 1947م تقرر فيه إبقاء الــوضع كما هو، أي رجوع إمارة كشمير إلى لاهور، كما كان الأمر في أيام الاحتلال ، وظاهر هذا الأمر الاستعداد للانضمام إلى باكستان.
الثاني : أمــــر بنزع سلاح المسلمين ، وتبع ذلك نزع سلاح المسلمين العاملين في الجيش والشرطــة وسمح بتسليح المنظمات الهندوسية، وكانت تلك بداية لعملية الإبادة التي تم فيها قتل الألوف من المسلمين ، ونهبت أموالهم وممتلكاتهم ، واختطفت بناتهم ، وطرد الناجون إلى باكستان، فـاشـتـعـلـت الثورة في المناطق النائية، ثم انتشرت في كافة أنحاء "جامو" وكشمير، وكانت أخبار الفظائع تصل إلى أسماع المسلمين من رجال قبائل الباتان ، فسارعوا إلى نجدة إخوانهم ، فعبروا الحدود وأقام السردار إبراهيم حكومة حرة في المناطق المحررة في 4 من أكتوبر (تشرين الأول) سنة 1947م وجعل عاصمتها "مظفر آباد" وتمكن المسلمون من إلحاق الهزيمة بجيـش "الدوجره" حتى اقتربوا من "سري ناجار" ففر منها المهراجا ورئيس وزرائه الشيخ عـبــد الله وطلب المعونة من الهند، فقامت بتلبية ندائه ، وبعثت أليه بالذخيرة، وأرسلت مـنــدوباً ليأخذ من المهراجا وثيقة الانضمام للهند حتى

تستطيع التدخل ، فوقَّع الوثيقة في 26 من أكتوبر (تشرين الأول) سنة 1947م.
فأعلنت الهند الموافقة عليها بصورة مــؤقـتــة، وسارعت بارسال القوات المحمولة جواً، وبدأت مرحلة جديدة من الحرب غير المتكافـئـــة بين المتطوعين المسلمين ، وبين قوات الجيش الهندي المدججة بالسلاح ، واستمرت الحرب سنة كاملة . أحرج خلالها موقف الجيش الهندي، ورفعت الهند الأمر إلى مجلس الأمن، وتوصلت الدولتان الهند وباكستان إلى اتفاق وقف لإطلاق النار قبل منتصف ليلة يناير (كانون الثاني) 1949م بدقيقة واحدة، وصدرت قرارات مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، وإجراء الاستفتاء المحايد لتقرير مصير الشعب الكشميري، وفعلاً فقد نفذ الجزء الأول، وهــو وقــف إطلاق النار، ولم يتم تنفيذ الجزء الثاني حتى الآن.
*يتبع *

الهوامش :

1- إن محمد جناح الذي يُطلق عليه "الزعيم الأعظم" هو رجل إسماعيلي المذهب وينتسب إلى أسرة هندوسية تحولت إلى الإسماعيلية ، وكان يدعو إلــى كيان خاص بالمسلمين ، ولم يكن يدعو إلى كيان إسلامي ، وعلى الرغم من أنه كان يخطـب في الجماهير بالإنكليزية - التي لا يعرفها العامة ولم يكن يجيد لغة المسلمين في الـهـنــد "الأورديـــــة" - فقد لاقت شعاراته "قبولاً" من العامة، وفرض على المسلمين خياراً صعباً، وهو إما الخـضـــوع لدولة الهندوس، أو الاستقلال بدولة لها سيادة تسمى : دولة باكستان الإسلامية، ويحـكـمـهـا النظام العلماني ! .

مشاهدات في بلاد البخاري (4)

د. يحيى اليحيى

مطالب المسلمين في طاجكستان تمثل الاعتزاز بالدين :

لما تمزق الاتحاد السوفييتي تنفـس المسلمون الصعداء، وحاولوا إعادة بناء كيانهم ، وإظهار تميزهم عن غيرهم من أهل الملل الأخرى، والانضمام إلى كيان الأمة الإسلامية الكبير ؛ لذا قاموا بالاعتصام في ميادين العاصـمــة (دوشنبيه) وضـربـــوا فـي الميادين أكثر من أربعمائة وخمسين خيمة، واعتصموا بها - على رغم الأمطار والثلوج - أكـثـر مـن عشرين يوماً من آخر رمضان إلى آخر شوال وقد صلَّوا العيد في ميدان لينين ، مطالبين الــدولة بعدة مطالب منها :

أن تـكــون الأحرف العربية هي أحرف الكتابة، وأن يكون الذبح على الطريقة الإسلامية، وأن تكـون الجمعة هي إجازة الأسبوع ، وأن يكون يوما العيدين إجازة رسمية، وأن يفسح ببناء المساجد وترفع عنها الضرائب إلى غير ذلك من المطالب.
وقد قـدِمـت الـعـاصـمـة وشــاهدت بنفسي تجمعات المسلمين وهم يرفعون راية "الله أكبر" والنصر لهذا الدين ، والناس يؤمون هذه الميادين صفوفاً تتلوها الصفوف من شباب وشيب. وعلى حين يطالب أهل السنة بأن تكون الكتابة بالأحرف العربية فإن الشيعة في أذربيجان يطالبون بأن تكون كتابتهم بالأحــرف اللاتينية، وقد أقاموا ندوة حضرها أحد الإخوة من هيئة الإغاثة الإسلامية، قالوا فـيـهـا بالحرف الواحد : "إن الحروف العربية لا تناسب النطق والصوت في لغتنا ولا تستطيع تـلـبـيـة احـتـيـاجات اللغة الأذربيجانية".
المسلمون يتظاهرون مطالبين بالأحرف العربية، أما شيعة أذربـيـجـان فيطالبون بالبعد عن الأحرف العربية.
ولا يخفى أن الدول الغربية وعلى رأسها (أمريكا) تسعى لـلـضـغـط على الـجـمـهـوريــات الإسـلامـيــة كي تـكــون كتابتهم بالأحرف اللاتينية بدلاً من الروسية، لأنهم يعلمون أن المسلمين لن يقبلوا بالأحرف الروسية بعد تلك السنين العجاف. وقد عرضوا عليهم الإسلام التركي بشقيه العلماني الحاكم والصوفي الشعبي.

حزب العدالة يدل على الاستجابة لهذا الدين :

وقعت في مدينة "نمنكان" فـي وادي فـرغـانـة مــــن جمهورية أوزبكستان - عدة سرقات للسيارات ولم يعرف السارق ، إلا أن هناك تواطؤاً من بعض الجهات. وكشف ذلك شاب من المدينة عندما أعلن عن تشكيل حزب العدالة وانضم إليه قرابة خمسة آلاف شخص ، ثم دعا مَن سرقت سيارة إلى إخبار الحزب عنها، وقــــام الحزب بالبحث عن السيارات المسروقة وأحضرها لأصحابها بعد تأديب اللصوص ، ثم تطور الحزب في مجال الحسبة فبدأ بإغلاق محلات القمار، ثم انتقل إلى منع الخَمَّارات ، وبمطالبة النساء بالتستر ومنع التبرج. إن بلداً ومجتمعاً عاشا سبعين سنة في جو الإلحاد والتهتك ثم قاما بهذه الحركة لَدليل على أن مقومات هذا الدين ما زالت تنبض في صــدورهـم فـمَـــن يوقظها ويوجهها الوجهة الصحيحة؟؟

الحرص العجيب على طلب العلم من منابعه الأصيلة :

لـقـــد لمست من تلك المجتمعات حرصاً عجيباً على طلب العلم في المدينة النبوية الشريفة على سـاكـنـهـا أفضل الصلاة وأزكى التسليم والمواقف والقصص التي مرت بي أكبر شاهد على ذلك ، وأذكر من ذلك قصتين فقط هما :

الأولى : قدمنا إلى مدينة (دوشنبيه) يوم الجمعة ثم رحلنا عنها يوم السبت ولم نقابل عدداً كبيراً من الطـلاب هناك بسبب الاضطرابات والمظاهرات ، ولما علم بنا أحد الشباب هُرع إلينا في الفندق، فقيل له: إنهم رحلوا إلى مدينة (دهنوا) التي تبعد مسافة مائتين وخمسين كيلو متراً، فركب القطار ولـمـا وصـلـهـا صباح الأحد قيل له إنهم رحلوا إلى سمرقند، ثم سيرحلون إلى بُخارى، فركب القطار إلـى بخـارى، فوصلها يوم الاثنين ظهراً، وسأل عنا فقيل له إنهم ذهبوا إلى القطار ليرحلوا إلـى جمهـورية (تركمانستان) ، ولم يكن معه من النفقة ما يكفيه فطلب سيارة لتوصله إلى محطة القطار فاشترط عليه السائق مبلغاً لا يملك سواه فوافق على ذلك ، ولما وصل إلى محطة القطار قام بالبحث عنا هناك فلم يعثر علينا، حيث كنا في مطعم نتناول طعام الغداء، وقف على بوابة القطار ورفع يديه إلى السماء ونذر لله أن يصوم شهراً كاملاً شكراً لله - تعالى - إن وجـدنا ، فلما خرجنا من المطعم وشاهدنا أسرع إلينا وعانقنا ثم حمل عنا أمتعتنا، وركب مـعـنا القطار وقال : أنا منذ يومين أبحث عنكم كي أقابلكم فعرضنا عليه أن يسافر معنا، فذكر أنه لا يحمل جواز سفره ، وبعد مسير ثلاث ساعات استأذننا ثم فارقنا فعرضنا عليه بعض المال فرفض لكننا ألزمناه به. ثم طلبنا منه شهاداته فقال : ليست معي. فقلنا له : تقدم بـهـــا علينا في طشقند الأسبوع القادم ، وفي يوم الأحد قدم إلى طشقند حاملاً أوراقه إلينا.

الثانية: كنا نقول لمن لم نتمكن من مقابلته في جميع الجمهوريات ، أن يلتقي بنا في مدينة (طشقند) فلما قدمناها بعد خروجنا منها بعشرة أيام ، وجـدنا مئات الطلاب ينتظروننا في أحد المساجد، وكلهم غرباء، وبعضهم من كبار السن قد أتوا بــأولادهم ، وكان من بينهم رجل يزيد عمره عن ستين عاماً قد أحضر معه ولده الذي يبلغ سـتــة عشر عاماً، إلا أن مظهره يوحي بأقل من عمره ، فقلنا له : لعلك تنتظر بالولد سنتين ثم نقابله ، ولما سمع ذلك منا بكى وبكى معه ولده ، فقررنا إجراء مقابلته وطلبنا منه أن يقرأ سورة (النبأ) فلما قرأ عشر آيات بكى وبكى أبوه ، وألح عليَّ في قبوله للدراسة لأنه يريد له أن يتربى ويتعلم في ديار الإسلام ، وأن يكون ذخراً له بعد موته ، فوعدته خيراً .

التنافس والتفاني في بناء المساجد:

عاش المسلمون ردحاً من الزمن وهم في بعد عن بيوت الله بسبب الـشـيـوعـيـــة الإلحادية الطاغية، فما إن سمح بإقامة المساجد، حتى تسارع الناس إلى بنائها وتشييدها من أموالهم الخاصة على الرغم من الفقر وضيق ذات اليد التي يعانونها، حتى شملت الـمساجد كثيراً من الأحياء، وأصبحت في بعض المدن تعد بالمئات.

عمارة المساجد بذكر الله:

ومما يسر المسلم في تلك البلاد كثرة المصلين وخصوصاً من الشباب ، وامتلاء المساجد بطلبة العلم وقراء القرآن ، فما إن تدخــل مسجداً في ليل أو نهار حتى تجد أناساً يقرؤون القرآن أو يتعلمون شيئاً من العلم ، ولقد زرت عـــدة مـساجد في أوقات مختلفة من الليل والنهار فوجدت المساجد عامرة بالناس.

تقبلهم للتوجيه والنصح :

إن كثيراً من الناس هناك على الفطرة وعندهم اسـتـعــداد طـيـب لقبول التوجيه والنصح والإرشاد. زرت مدرسة في مدينة "مرغلان"، وصليت معهم صلاة المغرب فعرض علينا أحد الآباء أن يُسمعنا من ابنه أسماء الله الحسنى التي يحفظها عن ظـهـر قلب فرحبنا بذلك ، وتلا علينا الابن أسماء الله الحسنى بصوت جميل رقيق ومؤثر حتى أبكى الحاضرين ، ثم أمره أبوه أن يذكر أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فلما قرأها وجدت أن بعضها لا تليق إلا بالله - عز وجل - فقمت وذكرتهم بعظمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبمنزلته ، وتقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين ، لكن هـذه الأسماء لا تليق إلا بالله - عز وجل - ولا يرضاها النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قام مَن ترجم لهم ما قلت ، ولما ركبنا السيارة لحقني الأب وقال : نسيت الأسماء، اكتبها لي فـي ورقة حتى أعلّم ابني إياها فكتبتها له وبدا أثر الفرح على وجهه.

وقمنا بتوزيع بعض الكتب في العقيدة السليمة الصحيحة على بعض أئمة المساجد وغيرهم ، ورأينا بعضهم يخطب بها في يوم الجمعة، وهذا دليل على تقبلهم للتوجيه والتعليم ، والقصص في ذلك كثيرة.

عزة النفس :

على الرغم من الفقر وضيق ذات اليد عندهم ، وضعف الاقتصاد وقلة الأعمال إلا أنـك لا تكاد تجد متسولاً، ولا يرحبون بالمساعدات المالية الشخصية، إلا أن تـكــون عـلـى شكل هدية، أو لقيام مشروع ، وقد حاولت أن أدفع بعض المساعدات للذين خدمونا وأكرمـونــا فرفضوا أخذها وعدُّوا ذلك عيباً، بل إن بعضهم يغضب منك إذا مددت إليه شيئاً من المال مكافأة على عمله لك.

وجود عدد كبير من المخطوطات الثمينة:

على الرغم من إحراق وإبادة الكتب من قِبَل الشيوعيين ، إلا أنه قد بقي في المنطقة ثلاث خــزائــن لـلـمـخـطـوطات ، في طشقند، وأذربيجان وطاجكستان ، إضافة إلى المخطوطات المتناثرة في بيوت الـنــاس ، وقد اطـلـعـــت على بعضـهـا، وزرت خزانة الكتب في معهد الاستشراق التي تحوي أكثر من أربعين ألــف مخـطـــوط ، أكـثر من ثلاثين بالمائة باللغة العربية،. ولم يفهرس منها إلا سبعة آلاف مخطوط والباقي لا يـعــرف ، وقد سألتهم عن عدد من الكتب لكنهم لا يعلمون هل هي عندهم أم لا، وتوجد

عندهـــم مخطوطات يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، وأكثر اهتمامهم بكتب القانون والفـلسفــة، ولذا تجــدهم يبرزون كتب ابن سينا والفارابي وغيرهم. ومن العجائب أنه يوجد في مـكـتـبـة الشؤون الدينية نسخة من مصاحف عثمان التي بعثها إلى الآفاق.

قلوب القوم معنا فهل قلوبنا معهم ؟ :

إن أولئك الناس يكنون لنا الود والمحبة وهم لم يرونا، ولقد حملني كثير منهم السلام إلى إخوانهم في هذه البلاد، على حين أننا أغفلنا حتى ذكرهم سنين طويلة ولم نقدم لهم شيئاً من حقوقهم.
((إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ))[النساء:104] .
إن أعداء الإسلام قرروا أن هذه المنطقة من المناطق البكر التي يجب استغلالها، وتنفيذ مخططاتهم فيها. وهنا أنقل إليكم هذه الأخبار المؤلمة والقلب يكاد يتقطع ، والكبد يكاد يتفطر، فلقد تسابق أهل الكفر والزندقة إلى استثمار هذه المنطقة الجديدة في العالم ، كل يحاول التفرد بها دون غيره : اليهود، النصارى،القاديانية،الإسماعيلية، الروافض ، الصوفية الغالية : كالنقشبندية والقادرية والبكرية وغيرها، وكل قد نزل بثقله إلى استثمار هـــذه الـبـلاد، ونـشـروا عقائدهم الفاسدة فيها، ودول الكفر تحاول عزل هذه البلاد عن إخوانهم المسلمين في كل مكان، وتحذر حكامها من الأصولية كما يقولون .
لقد صليت الجمعة في مسجد (تخطباي) في طشقند - وهي آخر جمعة من شهر ذي القعدة - وحضر وفد نصراني إلـى داخـــل المسجد، كموفد من كلية الكنيسة في أمريكا لدراسة المنطقة دينياً واقتصادياً واجتماعياً، ومدة هذه الدراسة ستة أشهر، وكانوا يقومون بزيارة كل موقع ودخول كل تجمع ، وكانوا يسألون عن سر كثرة الشباب في هذا المسجد ، وعن سبب تكبيرهم أحياناً أثناء الدرس الذي يعطيه الإمام ، ولما سألناهم كم لكم هنا؟ قالوا: أربعة أشهر وبقي لنا شهران.
وفي يوم السبت ذهبنا إلى المسجد لمـقـابلة الطلاب ، وأثناء خروجنا منه وجدنا على بابه عجوزاً أمريكية، فقلت لصاحبي : اسـألهـا عن سبب قدومها لهذه البلاد، فذكرت أنها دكتورة في (جامعة كولمبيا في نيو يورك) - وللعلم أن هذه من أكبر الجامعات التنصيرية - وقد قدِمت هذه العجوز لنفس الغرض السابق ، ثم بادرتنا بالحديث وقالت : أنا أعرف أنكم من السعودية، وقد سبقتمونا في تقديم الخدمات لهذه البلاد ولكننا سنقدم لهم كل ما يريدون وما يطلبون ! .
وقد ذكر لي أحد الثقات : أن عدداً مـــن المسلمين قد تنصَّر في جمهورية القرغيز، نتيجة الترغيب والإمداد بالأموال ، وتقول الإحصــائيات : إن النصارى وزعوا أكثر من خمسين مليون نسخة من الإنجيل في جميع لغات الاتحـــاد

الـســوفييتي - المنهار - وفي جميع الأحجام والأشكال مقروءاً ومسموعاً .
والقناة الروسية تبث الدعوة إلى النصرانية في فقرات متعددة من برامجها، و(جيمي سواجرت) وحده يظهر على القناة الروسية - التي تُلتقط في جميع الجمهوريات - مدة ثلاث ساعات من يوم الأحد فـي كـــل أسبوع ، عدا البرامج النصرانية الأخرى.

الملف الإعلامي

إعداد : د.علي عبد الرحمن عواض

أخبار قصيرة

* دعا الأمين العام للاتحاد الوطـنــي الكردستاني جلال طالباني اليهود في جميع أنحاء العالم - بما في ذلك "إسرائيل" - إلى مـساعدة الشعب الكردي الذي تعرض للإبادة . وقال طالباني في تصريحات إلى مراسل صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية رون بن إيشاع: إن "إسرائيل" لا تقدم أية مساعدة إلى الأكــراد على رغم أن بغداد تتهمهم بأنهم "أدوات" في يدها.
ونسبت الصحيفة إلى الزعيم الكــردي قوله : إنه يتوقع من اليهود المتحدرين من أصل كردستاني أن يشكلوا "لوبي" لمصلحة الشعب الكردي يحض الإسرائيليين على تقديم مساعدات إنسانية ومالية وطبية إلى الأكراد .

الحياة / القدس العربي 6/2/1993

* موسكو - أ. ب. رويتر : لم يستبعد وزير الـدفـاع الروسي الجنرال بافل غراتشوف قيام تعاون عسكري بين بلاده وحلف شمال الأطلسي لمـواجـهـــة "اخـتـراقـات عناصر إسلامية أصولية عدوانية" . أما القائد العام لقوات حلف الأطلسي في أوربا الـجـنــرال الـقــوقـازي الأصـــل جـــــون شاليكاشفيلي فقد وعد بالعمل على إقامة "شراكة قولاً وفعلاً" بين روسيا والتحالف الغربي.

الحياة 31/1/1993

* تقول مصادر ديـبـلـومــاسـيـــة إســـرائـيـلـية إن "إسرائيل" تدرس جدياً إقامة علاقات ديبلوماسية مع ثلاث دول إسلامية غير عربـيـــة مـنهـــا أندونيسيا التى تعتبر أكبر دولة إسلامية في العالم لجهة الكثافة السكانية (180 مليون مـسـلم). ودولتا السنغال وإريتريا. وإذا نجحت مساعي "إسرائيل" لإقامة علاقات ديبلوماسية مع البـلـدان الـثـلاثة المذكورة فسيرتفع عدد الدول الإسلامية التي تبادلها التمثيل الديبلوماسي إلى خمس دول بعد مصر وتركيا.

الحياة 31/1/1993

* العلاقات الودية جداً بين جمهورية قيرغيزستان في آسيا الوسطى و"إسرائيل" أدت إلى ود آخر بين "الجمهورية المسلمة" وإفريقية الجنوبية، يذكر أن قيرغيزستان وإفـريـقـيـــة الجنوبية أقامتا علاقات ديبلوماسية مؤخراً .

الأسبوع العربي 31/ 1/1993

إحصائيات

المسلمون في أوربا :

تفيد الإحصائيات الصادرة عن مـنـظـمة العمل العربيـة - مكتب العمل العربي - أن عدد المهاجرين غير الأوربيين في أوربا يزيد عـــن الـثـمــانية ملايين نسمة (غير الأوروبيين لأن أعداد الأوربيين الذين يهاجرون ضمن أوربا لا يدخلون في هذا الحصر) وغالبيتهم الساحقة من العالم الإسلامي (أتراك ، عرب ، باكستانيون ، هـنـــود وأفـارقـة). وهذا الرقم - أي الـثـمـانية ملايين - مساوٍ لعدد سكان ثلاث دول أوربية وهي اللوكسمبورغ والـــدانـمــــارك وأيرلندا.

والهجرة إلى الغرب ليست مسألة جديدة، بل إن عدداً من الدول الغربية كان يشجع هجرة الأيـــدي الـعـاملة الرخيصة إليها،فكان منهم اليمنيون والباكستانيون والهنود في بريطانيا، والأتراك في ألـمـانـيـــا، والعرب في فرنسا وأسبانيا وإيطاليا، حيث نزح عدد كبير منهم في الخمسينيات والستينيات عـنـدمـا كانت الأعمال اليدوية متوفرة ويأنف الأوربي من القيام بها.

الهجرة إلى ألمانيا بدأت عام 1962م وبدأ استقطاب العمالة الرخيصة من تركيا حتى وصل العدد إلى خمسة ملايين حالياً، إلـى جــانــب رقــم لا بــأس بــــــه من جنسيات أخرى (يوغسلافيا/بولندا/فيتنام..) .

وتشير الإحصائيات في فرنسا إلى : أن شخصاً من بين كل أربعة فرنـسـيـيـن له على الأقل جد أجنبي أو مولود في الخارج. ويبلغ عدد العاملين من أصول أجنبية "14" مـلـيــــــون شخص بينما حصل عشرة ملايين من هذا الرقم بالفعل على الجنسية الفرنسية.

وتشير دراسة بريطانية أجريت أخيراً إلى أن نسبة 20% من العاطلين عن العمل في الدول الغربية هم من المهاجرين. وهذه الهجرة تعود لأحد الأسباب التالية:

- الضغوط السياسية .
- المجاعات والكوارث .
- الرغبة في المغامرة .

ولعل أهم مخاطر الهجرة هي "هجرة العقول" أو "النزف العلمي" كما يسميه البعض ؛ إذ إن الإحصائيات تشير إلى أن الغرب أصبح "مرتعاً" لعدد هائل من مفكري وكُتاب ومثقفي وقادة العالم الإسلامي.

بتصرف / مجلة الوسط ، العدد رقم 57 ، 1/3/1993

مصطلحات

الدعوة والدعاية :

الدعوة:اصطلاحاً تعني: الترغيب في دين الله ونداء الناس للدخول فيه وتعريفهم بمناهجه بالحكمــة والموعظة الحسنة وهى - أي الدعوة - برنامج متكامل يضم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليعرفوا الغاية من محياهم وليستكشفوا الطريق التي تبصرهم بصراط الله المستقيم.
الدعاية : اصـطـلاحاً تعني : عملية منظمة متعددة الوسائل والأساليب تقوم بها سلطة من السلطات باسـتـمــرار بهدف التأثير بها على المدعوين. وتحقق أهدافها كسلطة، أو تحافظ على مكتسباتها وتـديـــم اسـتـغـلالها أو سيطرتها بالطرق النفسية التي تستعبد بها نفوس المدعوين ، وتخضعهم أكثر فأكثر لسلطان نفوذها. ومن أهم قواعد الدعاية الحديثة : (التبسيط ،وتركيز الاهتمام على العدو الواحد)،و(التضخيم والتعريف)، و(توزيع الأدوار)، و(تحويل المشاعر)، و(نقض مزاعم وخطط العدو والتكرار..).
إذن فالدعاية هي نشر الأفكار ووجهات النظر والمواقف المرغوب في تبنيها من الآخرين. والدعاية - كالإعلان - تستخدم أحدث وسائل الإعـــلام ، والاتصال بالناس من صحافة وإذاعة وتلفاز وخيالة "سينما" ومنشورات ومسرح ، كـمـــا تستخدم أحدث فنون الإيحاء الذاتي المبنية على اكتشافات علم النفس الفردي والاجتماعي.
وعلى الرغم من فائدة الدعاية بصورة عامة فإن فيها عدة أخـطـار كامنة ؛ لأنها تميل إلى تبسيط الأمور وإبراز المزايا وإخفاء العيوب والأخطاء مما قد يقـتـــل أية قدرة على النقد، وعلى الحكم الموضوعي المتعقل.
ومن الأخطار الكامنة في الدعاية: خطر وقوع وسائل الاعلام والدعـايــة تحت سيطرة فئة محدودة من موظفي الدولة أو كبار الرأسماليين ، ولعل أخطر أنواع الدعاية هي : الدعاية الخفية التي يصعب اكتشافها، وبالتالي تحقق أهدافها بفعالية وعمق تحـت سـتـــار مــــن الموضوعية المزيفة، وتنتشر الدعاية (ويتحسن سوقها) في أوقات الأزمات والحروب ، ولعل أهــم الـفـــروق بين الدعوة والدعاية اعتماد الأولى على الحقائق وإيصالها بأساليب نظيفة بهدف خدمـــــة الـديـــن. والثانية تمزج الحقيقة بغيرها وتوصل رسالتها بكافة الوسائل والأساليب من أجل خدمة مالكي أجهزة الدعاية.

فيدرالية (Federalism) :

نظام سياسي يفترض تنازل عدد من الدول أو القوميات الصغيرة - في أغلب الأحيان - عن بعض صلاحياتها، وامتيازاتها واستقلاليتها لمصلحة سلطة عليا موحدة تمثلها على الساحة الدولية وتكون مرجعها الأخـيـر في كل ما يتعلق بالسيادة والأمن والقومي والدفاع والسياسة الخارجية.

فالفـيـدراليـــة إذن تتعلق بالنظام السياسي والتنظيم الإداري وبتقسيم صلاحيات السلطات الحاكمة وتـنـظـيـم العلاقات فيما بينها وتأمين انسجامها لتمنع تغلب طرف على الطرف الآخر فتحصر قــرارات الدولة الفيدرالية المركزية بالقمة، وتترك الأمور المحلية للسلطات الإقليمية، والـسـلـطـــات الـمـحـلـيـة بدورها لا تخرج عن نطاق صلاحياتها، فهي لا تشرع للقضايا التي تتعلق بالدولة المركــزيـــــة، رغم أنها تشارك في قضايا المؤسسات التي تعالج الأمور القومية وتنظيم هذه المؤسسات وتـــوزع الصلاحيات بشكل يؤمن استقلالية الوحدات المكونة للسلطة الفيدرالية ويضمن لها الـمـشـاركة الفعالة في القرارات المركزية والمصيرية.
والفيدرالية على أنواع ودرجات متفاوتة في الأشكال والصيغ التطبيقية ؛ إذ تتراوح ما بين وحدة مطلقة أو الاتحاد بين مجموعة متمايزة تماماً. ومن أهم أمثلة الفيدرالية : الولايات المتحدة، الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، الـهـنـــد، سويسرا ، أستراليا، البرازيل. والجدير بالذكر أن بعضاً من الاتحادات الفيدرالية "بـــدأت حـيـاتـهـا" كاتحاد كونفدرالي.

كونفيدرالية (Confederation) :

الكونفيدرالية شـكـــل من التنظيم الاتحادي بين دول تعهد بممارسة بعض صلاحياتها إلى سلطة مركزية مشتركة مع إبقائها على حكومتها المتميزة، وتتألف السلطة المركزية أساساً من هيئة تنسيق مـلـــزمة باتخاذ قراراتها كافة - أو معظم قراراتها على الأقل - بإجماع الدول الأعضاء في الكـــونفـيــدرالية، وذلك بخلاف ما يحصل في الفيدرالية حيث تُتخذ القرارات بأكثرية الأصوات فـقـــط ، وغالباً ما تتحول الكونفيدرالية - ولا سيما في إطار الدول القومية - إلى فيدرالية، وهذا ما حصل في سويسرا على سبيل المثال حيث لم يبق من الكونفيدرالية سوى الاسم ، وكـمــــا هو واضح فإن النظام الكونفيدرالي أكثر مركزية وسلطوية من النظام الفيدرالي.
ومن نماذجها المطبقة في العالم :
- الكونفيدرالية الأوربية للنقابات (C.E.S.).
- الكونفيدرالية العالمية للعمل (C.M.T.).

الحكم الذاتي (Autonomy) :

هو حق دولة أو منطـقـة أو مقاطعة من دولـــة في إدارة شؤونها الداخلية بكل حرية ، دون الخضوع لتوجيهات خـارجية. ويعتبر الـحـكـم الـذاتـــي الـخـطـوة الأولى والطبيعية نحو الاستقلال الكامل. وقد أثبتت التجارب التاريخية ذلك ، وينتقل الحكم الذاتي إلى مرحلة الاستقلال عندما تأخذ الدولة بزمام الشؤون الخارجية والدفاعية مــــن الدولة المهيمنة أو المنتدبة أو المحتلة.. ، وتستخدم الدول المحتلة عادة نظام الحكم الذاتــي لتأجيل إعطاء الاستقلال للمناطق المحتلة مدعية أنها : "مرحلة أساسية وضرورية ويجـب أن تـمـر بها

الـمـسـتـعـمرة ؛ لتهيئة أبنائها وتمكينهم والتثبت من إمكانيتهم إدارة شؤون البلاد بشكل نهائي ومستقل" .
وأمثلة الولايات أو الدول التي تتمتع بحكم ذاتي ضمن هيمنة دولية أوسع كثيرة. فمثلاً في روسيا ست دول إسلامـيــة تتمتع بحكم ذاتي تحت الغطاء الروسي. وفي آذربيجان كانت مقاطعة (ناغورنو قره باغ) ذات الغالبـيـة الأرمنية تتمتع بالحكم الذاتي من الدولة الآذرية ذات الغالبية الإسلامية...
والمناطق التي تطالب بحكم ذاتي في العالم كثيرة جداً.

الهوامش:

- انظر : "موسوعة السياسة" ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية، بيروت ، 1986م.

في دائرة الضوء

كشف تقرير سري رفعته بعثة تحقـيـق إلـى المجلس الوزاري التابع للمجموعة الأوربية أن القوات الصربية في البوسنة والهرسك ساهمـت في تنفيذ أعمال اغتصاب منظم لما لا يقل عن 25 ألفاً من النساء والفتيات المسلمات. وأن مقـاتلـي الصرب يستخدمون الاغتصاب "سلاحاً في الحرب" . وقضـى الكثير من ضحايا عمليات الاغتصاب الجماعي نتيجة إصابتهم وكان بينهم أطفال لم يتـعـدوا السادسة أو السابعة من العمر . كما وجد المحققون أنه غالباً كان يتم اغتصاب الفـتـيات أمام آبائهن وأمهاتهن ، والأمهات أمام أطفالهن والزوجات أمام أزواجهن.

إندبندنت 26/1/1993

*>(إن التقـريــر غير دقيق ؛ حيث إن عدد حالات الاغتصاب تجاوز 50000 حالة شملت الأطـفال ذكـــــوراً وإناثاً . كما شملت النساء والرجال. والصحافة العربية تشير إلى أقل من نصف الحقيقة.) البيان

وأضاف التقرير أيـضـــاً أن الكـثـيـر من عمليات الاغتصاب كان هدفه جعْل النساء حوامل واحتجازهن حتى موعد الوضع: "إمعاناً في الإذلال وكي يتذكرن باستمرار هذا الإذلال".

الحياة 3/2/1993

* (ومـع ذلـك لا يـجــد الـمهجَّرون المسلمون مكاناً آمناً في البلاد الإسلامية، فيضطرون إلى الهجرة إلى ديار الكفار في أوربا وأمريكا، وهناك يتم تهويدهم وتنصيرهم .) البيان

***

مصطلح رهيب جارح مؤذٍ مخجل يجد طريقه سهلاً في أي موضوع يتناول قضايا المسلمين ، إنه كلمة "اغتصاب" . ما بالها لا تفارق أي تقـريــر يتحدث عن المسلمين في أية بقعة من بقاع الأرض. ستون ألف امرأة وفتاة وطفلة انتُهكت أعراضهن في أوربا على مرأى ومسمع العالم.. والعالم الإسلامي شاهد على الجريمة.. تسبى بنات المسلمين "بفتوى" شرعية من كنائسهم. تقارير كشمير تتحدث عن فصل الرجال عن النساء فـي القرى النائية بحجة التحقيق مع الرجال والنساء تحت رحمة عُبَّاد البقر.. وبعد الفصل تـجـــري فـصول وطقوس تخدش إنسانية الإنسان.
من أرمينيا يرتفع صوت المذيع في راديو (ناغورنو قره باغ) معربداً موجهاً كلامه للمسلمين: "لن نترك بناتكم حتى يلدن أطفال الأرمن" !! هكذا جهاراً نهاراً.
يقول مراسل إندبندنت البريطانية في تقرير من بنغلاديش عن أوضاع اللاجئين البورميين: "لم ألتق بامرأة مسلمــة واحدة إلا وحدثتني عن قصة جديدة من قصص الاغتصاب.. كل واحدة التقيتها قالت لي : إنها اغتُصبت.." .
اعتادت الأسـمــاع على هذه الأخبار والعيون على هذه الصور وألفنا صور الجريمة!! فهل هذا هو دورنا المطلوب؟! هل لنا أن نستمع لفتوى العلماء"إذا سُبيت امرأة مسلمة في المشرق فعلى أهل المغرب إنقاذها". هل لنا أن نتذكر ما فعله الـرســـول -صلى الله عليه وسلم- باليهود عندما حاول أحدهم أن يكشف عورة امرأة مسلمة؟ وهـــل ننسى ما فعله المعتصم عندما لطم علج رومي مسلمة في زبطرة وصاحت "وامعتصماه" !!
عـنـدما سئل الناطق الرسمي لجبهة تحرير مورو عن السبب في الهجوم على مجموعة من الجيش الفلبيني وقتل 35 من عناصره أجاب : "مع أننا في معاهدة وقف إطلاق نار معهم ولكنهم اغتصبوا امرأة" !

***

الإريـتـريون ليسوا عرباً، وإريتريا ليست جزءاً من العالم العربي، وسـنـقـيـم عــلاقـــــات ديبلوماسية مع "إسرائيل". دانيال يوهانس المفوض العام لإريتريا في فرنسا. وأضاف : إن واقع أن تكـــون مـسـلـماً وأن تتحدث اللغة العربية يمكن أن يحتوي على اتجاه للانتماء العربي. إن هذا الواقع لا يعني أنك عربي ومن بعد إريتري ، إن المسلم الإريتري إريتري فقط. ولا يوجد خـلاف ولا بـحـــــث في مسألة أننا عرب أو غير عرب ، نحن إريتريون وأفارقة فقط .
وعن علاقاته مع "إسرائيل" يضيف: جاء سفير"إسرائيل"في أثيوبيا إلى أسمرة مباشرة بعد الاستقلال (24/5/1991)، وطرح علينا إقامة علاقات ديـبـلـومـاسية. وكانت "إسرائيل" الدولة الأولى التي اتخذت مثل هذه البادرة. ونحن سنقيم علاقات مع "إسرائيل" ، لسنا مجبرين وليس لدينا حساب نؤديه لأحد في هذا المجال .

مجلة الوسط 15/2/1993
الضجة الإعلامية و"الاستغراب" الذي ساد كثيراً من العواصم العربية على إثر تصريحات "أفورقي" بعد زيارته لإسرائيل ، له ما يبرره ولأفورقي في أسبابه فيما قاله. العرب الذين احتضنت عواصمهم وكثير من مدنهم مكاتب "الحركة الشعبية لـتـحـريـــر إريتريا" منذ اللحظة الأولى وحتى سقوط حكم الرئيس الأثيوبي منغيستو هيلا ماريام ، والـذيـن قدموا للـجـبـهة الدعم المادي والسند السياسي رأوا في تصريحات أفورقي "خيانة" و"نكرانــاً للجـمـيـــل"، ولكنها خيانة "مَن" و"لمن"؟ "فالرجل" يرى في "إسرائيل" "صديقاً" يمكن الاستفــادة منها والتعامل معها وإقامة تبادل ثقافي وديبلوماسي.. فهل هذه "الطموحات" تبتعد كـثـيـراً عـــن تـصــريحـات كثير من العرب أنفسهم؟!
وهذا ليس سراً ، بل إنها تصريحاتهم وعناوين صحفهم. و"إسرائيل" ترى في الخطوة تعزيزاً لسياسة التغلغل التي تتبعها في إفريقية. الإريتريون عــرب ، أحب أفورقي أم كره ، ولغة العلم في البلاد هي العربية والإسلام دين الغالبية. فالتقارب بين النصراني أفورقي ويهود "إسرائيل" هو من مظاهر هذا العصر إن لم نقل مـن مـسـتـلزماته. ولكن هل يتعلم المسلم العربي كيف يختار أصدقاءه وفيمن يضع ثقته؟!
أما في إفريقية فقد تولت الولايات المتحـــدة تحمل التبعات في تهيئة الأجواء وذلك عبر نشاطات وزارة الخارجية الأمريكية في القـرن الإفريقي والتي رسم سياستها مساعد وزير الخارجية الأميركي هيرمان كوهين.

***

لفت خبير أمريكي في شئون الشرق الأوسط - وهو على علاقة وثيقة بالدوائر الأمريكية - إلى "جدوى استغلال المثقفين الشيوعيين السابقين فـي دعــــم التوازنات الإقليمية المقبلة في المنطقة" موضحاً أن بعض الأقلام اليسارية يقوم بمواجهة التطرف الديني بطريقة أفضل من الأقلام الـموالية للسلطة. وأشار الخبير بالمناسبة إلى أسماء معـروفـــة جداً في أوساط اليسار المصري .
الأسبوع العربي 15/2/1993

***

فعلى القارئ الفاهم الواعي أن يتذكر الأسماء التي تكتب اليوم باسم الإسلام و"تدعي وصلاً به" والإســلام لا يقر لهم بذاك. أقلامهم التي ملأت صفحات الكتب والمجلات افتراءات تهاجم الإســلام وأهله هي الآن نفسها التي تكتب عن "الإسلام المتطوَّر" "المتسامح" الذي يحتوي على توصيـــات وقيم اجتماعية وأخلاقية طيبة في الوقت الذي يشككون بالنظام الإسلامي للحكم. هــؤلاء "الدخلاء" لا يتركون مناسبة إلا ويحملون فيها حملات مسعورة على الإسلام تحت غطاء محاربة "التطرف" أو مواجهة "الأصولية" .

الغلو منبوذ أصلاً فـي الإســـلام ، ولكن هل يجوز استغلال بعض الممارسات التي لا تمثل وجهة النظر الصحيحة؟؟

مكتبة البيان

رسالة جامعية

* مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة

رسالة قدمها الباحث ناصر بن عـبد الله القفَّاري لنيل درجة (الماجستير) من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1398هـ وقد نالها بدرجة امتياز. تقع الرسالة في جزئين ، الأول (390 صفحة) وتـتـضـمــن تعــريف أهل السنة والجماعة، ومصادرهم في تلقي العقيدة، وأهم معتقداتهم التي خالفتها طائفـة الشيعة. وتعريف الشيعة ومعتقداتهم التي خالفوا فيها أهل السنة كالقول بتحريف القرآن، والغلو في القبور، والتَّقِيَّة والرجعة، وقولهم في الصحابة. أما الجزء الثاني (390صفحة) فـقـد دار حـــول آراء دعاة التقــريــب في قضايا الخلاف ، ومحاولات التقريب منذ القديم إلى هذا العصر - ســـــواء الجماعـيــة الـتـي قــامــت بــهــا دار الإنصاف ودار التقريب بين المذاهب الإسلامية أو المحاولات الفردية مثل محاولات مـحـمـد عـبـــده ومحمد رشيد رضا ومصطفى السباعي وغيرهم - ونتائج هذه المحاولات، حيث بيَّن هــــدف عـلـمــاء الشيعة الحقيقي من هذا التقريب ، وانخداع من قام بهذا من أهل السنة، كل هذا في عــرض موضوعي علمي قلما نجده في غير هذا الموضع. بذل الباحث جهداً في هذه الرسالة ، حيث سافر إلى بعض البلاد للاطلاع على مادة هذه الرسالة، وجمعها والوقوف عليها فقد سافر إلى الكويت والعــراق ومصر وباكستان. طُبعت الرسالة أخيراً (1412هـ) وهي من توزيع دار طيبة للنشر - الرياض.

* أمالي المحاملي رواية ابن يحيى البيع :

رسالة قدمها إبراهيم القيسي لنيل درجة (الدكتوراه) بتاريخ 21/6/1406هـ من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقد حازت على مرتبة الشرف الثانية. وطبعت أخيراً (1411هـ) وهي من توزيع دار ابن القـيـم. والكتاب من الكتب التي تستحق العناية والإخراج ، وقد اقترن اسم مؤلفه به ، حيث اشـتـهر عند علماء الحديث "بأمالي المحاملي" ، والكتاب فيه مادة حديثية كانت المعتمد لكثير مـــن علماء الحديث قديماً وحديثاً.

يقع الكتاب في مجلد، بدأه المحقق بمقدمة عن حياة المؤلف وعصره ، ثــم عرف بالكتاب ومكانته والنسخ المخطوطة التي اعتمد عليها التحقيق ، وأتْبعه

بالأحاديث المسماة بالأمالي التي رتبها الباحث على الأبواب الفقهية (ليسهل الوصول إليها)، وجــاء الكتاب فــي (576صفحة) مع فهارسه.
مــلاحظة : الأمالي : جمع إملاء وهو أن يقعد عالِم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله عليه من العلم، ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الإملاء أو الأمالي، وعـلـمـاء الشافعية يسمون مثله "التعليق" (انظر مقدمة الكتاب ، ص31، نقلاً عن "كشف الظنون" ، 1/161) .

*** المسائل والرسائل المدونة عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة :**

جمع وتحقـيــق ودراسة عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمري. تقع الرسالة في مجلدين ، بدأها الباحث بترجمة للإمام أحمد، ثم علق بشكل مقتضب على المصادر التي استقى منها مادة هذا البحث، وهي مسائل الإمام أحمد التي رواها تلامذته، ورسـائـلــه الشـخـصـية ورسـالـتـــه لمسدد، ومؤلفاته التي صحت نسبتها إليه والتي لم تصح ،إضافة للكتب التي نقلت آراءه في هذا المجال.
الرسالة جـامـعــة ومفيدة، وتكتسب أهميتها من كونها: صادرة عن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة المتفق على إمامته وجلالته ، وثانياً: كونها في باب العقيدة التي اضطربت فيها بعض الـفـــــرق الإسلامية عبر تاريخنا الإسلامي ، وطريقة الباحث أن يعرض كلام الإمام أحمد في مســألة من مسائل العقيدة، ويتبعها أحياناً بتعليق من عنده يوضح مذهب السلف في هذه المسألــة، وبعض النقولات فيها لبعض الأئمة المشهورين ، وربما أتى برأي بعض الفرق فيها.
يقع الجزء الأول فـي (412 صفحة) يضم أقوال الإمام أحمد في مسائل الإيمان ، والقدر، ومسائل القرآن ، ومسائل الأسماء والصفات ، والجزء الثاني في (500 صفحة) تحدث فيه عن أقوال الإمام أحمد في مسائل القتال ، والأموال ، ومسائل الصلاة، والسحر والكهانة، والمسائل المتعلقة بالتوكل والغيبيات ، والمسائل المتعلقة بالرسل ، ومسائل الفرق. الرسالة من توزيع دار طيبة للنشر ، الرياض.

*** الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة :**

دراسة علمية حول ظاهرة الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، تأليف عبد الرحمن بن معلا اللويحق المطيري ، قـــدم الباحث هذه الرسالة إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لنيل درجة (الماجستير) وقد استحقها بدرجة امتياز وذلك بتاريخ 13/1/1412هـ.
قام الباحث بدراسة موثقة ومؤصلة شرعاً، معتمداً على الإحصاءات والدراسات الحديثة في هذا الجانب ، وموضـحـــاً الـمـصطلحات التي تتلجلج في هذا الموضوع بدون ضابط ، وقد أجاب على الأسئلة المهمة المتعلقة بهذا

الموضوع مثل : هل في حياة المسلمين المعاصرة غلو؟ ما هي جذور هذا الغلو؟ ما حجـمــه؟ ما مظاهره؟ ما الميزان المستصحب في اكتشاف الغلو؟ وفي نقده ونقضه؟
عرَّف الباحث في رسالته مصطلح الغلو في الشريعة الإسلامية، وجذوره التاريخية، وحجم وطبيعة الغلو في حياة المسلمين المعاصـــرة، ومفهومه عند العلمانيين والغربيين ، ومجالات الغلو العقدية والتشريعية، وكذلك العملية والسلوكية، وختمه بالنتائج التي توصل إليها في هذا البحث.
وقد كان لجهد الباحث في جمع المادة، وما صاحبه من تبويب وعرض شيق أثر في أهمية هذه الرسالة التي طُبعت أخيراً (1412هـ) في نحو (600 صفحة) مع فهارسها، وهي من توزيع مؤسسة الرسالة بيروت .
إعداد: عبد العزيز الحويطان

إصدارات

يعتبر كتاب "ملحمة البوسنة والهرســك .. الـجـريـمـة الكبرى" للدكتور عدنان علي رضا النحوي إضافة قيِّمة إلى المكتبة العربية وإغناءً لبعض النقــص الواضح في الكتابات العربية التي تتناول شؤون مسلمي البلقان قديماً وحديثاً.
استعرض الكاتب في الباب الأول تاريخ البلقان وانتشار الإسـلام هناك كاشفاً جذور المأساة التي تعانيها الأقليات المسلمة في أوربا الشرقية، ومفصلاً مراحــل "الجريمة الكبرى" التي تُرتكب الآن في البوسنة والهرسك والتي بدأت مع انهيار الدولـة العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية.
وفي الباب الثاني يقدم الكاتب "الملحمة الشعرية" في البوسنة والهـرســك حـيـــث يعـرض الـتحـولات فـي تاريخ البوسنة من خلال قصائد عبقت فخراً بتاريخ البوسنة، وحزناً على واقعها وخجلاً من واقع المسلمين وصيحة لمستقبل آخر.

لا تُراعي يا "بوسنَ" صبرٌ جمـيـــلٌ   سـوف نُحيي مع الملاحم عِيداً
واسكبي النور عَلَّه يوقظُ الجَفـــــــنَ فـنلقـي هناك فجراً جديداً

الكتاب من إصدارات دار النحوي للنشر والـتـوزيـع في الرياض ، ص.ب. 1891 ، الرمز البريدي 11441. ويقع الكتاب في مئتي صفحة مــن القطع المتوسط (1413هـ/1993م).

الإسلاميون وسراب الديمقراطية ، تأليف عبد الغني الرحال :

يتضمن الكتاب موضوعاً مهماً هو شرعية دخول الإســلامـيـيـن إلى البرلمانات. وقد عرض الباحث كافة المبررات والمسوغات التي يحتج بها من يرى الـمـشاركة البرلمانية وخاصة قضية المصلحة، ثم يشير إلى أن المشاركة في هذه البرلمانات هي تـرسيخ لواقعها المخالف لدين الأمة.

وقد بدأ الباحث دراسته بمقدمة ضافية تمثل دراسة نقدية موجزة للواقع المعاصر، وموقف الجماعات الإسلامية إزاءه ، ثم تكلم عن الموضوعات التالية:
- الديمقراطية .
- المجالس النيابية ومقاصد الشرع .
- مصالح متوهمة أم أبواب مغلقة .
صـــدر الكتاب حديثاً خلال (1413هـ) عن مؤسسة المؤتمن للنشر والتوزيع - الرياض ويقع في (536) وهو الجزء الأول من الكتاب ، سيليه مستقبلاً الجزء الثاني عن التجربة المصرية والسورية.

ردود ومناقشات

جاءتنا ردود على ما كتبه الأخ محمد عبد الله آل شاكر في العددين (55و56)، وحرصاً منا على سماع وجهات النظر ننشر هـذيـن الـردين باختصار مع الإبقاء على النقاط المهمة والله الموفق .
- البيان -

رد الدكتور سليمان بن عبد الله العُمير :

لقد اطلعت على ما كتبه الأخ الأستاذ محمد عـبـد الله آل شـاكــر فـي العدد 55 من مجلة "البيان" في زاوية: تراث تحت عنوان : "هجوم على العمالقة" . وقـــرأت ما تضمنه ذلك المقال من الانتقاد اللاذع لما قام به الدكتور حمد الحماد - الأستاذ الـمـشـارك بالـجـامـعة الإسلامية بالمدينة - من اختصار كتاب المغني لابن قدامة. ولست أريد بهذه الكتابة الدفاع عن المنتقَد أو مناقشة المنتقِد أو الدخول في تفاصيل جدوى اختصار الكتب المطولة، أو عدم جدواها. فهذا له أهله، وتحكمه نوعية الكتاب الذي يراد اختصاره ، والحال التي عليها القراء وهل هم بحاجة فـعلاً إلى الاختصار والتسهيل أم أن باستطاعتهم التعامل مع الكتب الكبيرة، والتلقي منها مـبـاشـــرة دون عناء. لكني أريد التنبيه على بعض الأمور التي وقع فيها الأستاذ :

أولاً : قـولــه: "إن هــذا الـمختصر يقع في ثمان مجلدات) والصواب في أن هذا الكتاب لن يتعدى أربع مجلدات على أكبر تقدير. ولعل الأستاذ صدق هذه الشائعة نظراً لأنه يوجد في السوق مختصرات وضعها أصـحـابهـا في حجم يقارب حجم الأصل إن لم يزد عليه ، وهو معذور في ذلك ، لكن الصواب ما ذكرت.

ثانياً: مسألة تيسير الشراء التي افترضها الأستاذ غير واردة أصلاً، فلا محل لها.

ثالثاً: قوله عن هذا المختصر : "رأيت منه مجلدين اثنين" هو من قبيل الوهم. والواقع لم يُطبع من الكتاب إلا المجلد الأول فقط ، وهو ينتهي بنهاية كتاب الجنائز كما أشار إليه الأستاذ.

رابعاً: فهم الأستاذ من حذف الدكتور لأقوال السلف من الصحابة والتابعين في المسائل أن في ذلك حرماناً لطالب العلم من معرفة آراء هؤلاء التي قد تكون لها قيمتها ومكانتها، وهذا فهم في غير محله. ذلك أن الدكتور إنمــــا حـــذف من هذه الأقوال ما كان موافقاً لأقوال أصحاب المذاهب المشهورة، ومعطوفاً عليها، وحينئذ فالقول موجود وإن حذف بعض من قال به، أما حين يكون رأي هؤلاء السلف مقابـلاً لآراء أصحـاب المذاهب فإنه يثبته ولا يحذفه، وعليه فلا نكون حرمنا طالب العلم من معرفة آراء هـــؤلاء الفـقـهـاء خارج نطاق المذاهب المشهورة.
هذا ما أردت التنبيه عليه في هذه العجالة ولا يُنكر ما للأستاذ شاكر من جهـود في الذب عن التراث، ومن غيرة صادقة عليه خاصة في مقاليه عن التحقيق والمحققين في العددين (43و44) مزدوج وفي العدد (45).
والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

رد الأستاذ حسان عبد المنان :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فإني أُخبرت أن رداً على كتابي "رياض الصالحين" المحقق المهذب وقع في مجلة "البيان" الإسلامية.
فحمدت الله أن أحداً بادر بنقده.
وكنت أتمنى أن يكون الرد الذي وقع في نفسي ، وهو تصحيح خطأ أو منهج سرت عليه، أو بيان مغالطات فيه ، وإن كان فبأسلوب علمي خالٍ من التحامل أو التجريح. ولكن بما أن الكاتب قد تجنى عليَّ ، فلا بد من الرد، وهذا هو بين يدي القارئ :
1- ادعى الكاتب : أني حذفت بعض أبواب "رياض الصالحين" وهذا لم يحصل.
2 - ادعى : أني حذفت بعض الأحاديث الصحيحة وسكت ، ولو أكمل العبارة لأوضح أنها في هامش الكتاب ، فاستغنى عن تكرارها في متنه .
3- ادعى : أن الحذف بلغ عندي أحد عشر بنداً كما في مقدمتي ، وهذا غير الواقع بل هي أكثر.
4- ادعى: أن إحالات الحديث : انظر الحديث كذا.. قد تتجاوز نصف الصفحة بحرف صغير ، وهذا غير الواقع أيضاً ؛ فالحرف لم يتغير.
5- ادعى : أني قلت في كتابي : "وافقني عليه الشيخ الألباني" في أحاديث ضعَّفها. واعترض عليَّ بقوله: والـكـــل يعـلــم أن تحقيق الألباني على الأقل أسبق من تحقيقه هو بسنوات فمَن الذي يوافق الآخر ؟ .
أيها الفاضل:أنا لا أريد أن أخوض معك غمار اللغة، ولكن يكفي أن أطالبك بهذه الجملة، أين وقعت عـلـيـهــا فـي كتابي؟! أنا أعرف بكتابي ، لم أذكر ذلك صريحاً في موضع من الكتاب ، وإنما اقـتـصـــرت عـلـــى موافقة الشيخ شعيب الأرناؤوط - حفظه الله - لأني جالسته جلسات عدة في مراجعة الأحاديث الضعيفة من الكتاب ، ووافقني على ما بينت في كتابي.

أما الشيخ الألباني - حفظه الله - فـقـلــت في بداية فصل الأحاديـث الضعيفة : "ولعل الشيخ الفاضل الألباني يرجع إلى نحو ذلك بعد ما يرى الحجة فـي هذا الكتاب . فكيف أذكر موافقته على أحاديث - لو صح ما زعـمــت - وقــد قـلـــت قولتي هذه. ولنعد إلى الملاحظات :
1 - تقول : "أصبحت المختصرات الناسخة للأصول المطولات من تـراثـنـــا كـثيرة كثرة تستلفت النظر.."
وأقـــول: هــل المختصرات وليدة هذا العصر؟ أم أنها سُنة من أئمتنا وأئمتك. ولتوقن أن المختصرات لم يمسخها المتأخرون ، أذكر لك نماذج من مختصرات المتقدمين ، وإكثارهم من هذا الباب :
فها هو الإمــــام الذهبي - رحمه الله - المتوفى سنة (748هـ) قد اختصر أكثر من ثلاثين كتاباً، وقد ذُكرت في مقدمة "سير أعلام النبلاء" ، 83-88 .
أما التفاتك إلى عصرنا أيها الفاضل، فانظر مختصرات الشيخ الألباني لكتبه وكتب غيره، مثل صفة الصـلاة، وأحكام الجنائز، والشمائل المحمدية، والعلو للعلي الغفار، وصحيح البخاري..
وأما رياض الصالحين، فاختُصر من قِبل غير واحد كالنبهاني، وغيره مما لا زال مخطوطاً في المغرب ، والمكتبة الوطنية بباريس. فهل هذه الكتب ماسخة للأصول؟
2 - تقول : "وأما تهذيبك نصوصاً - ونصوص الكتاب كلها آيـــات وأحـاديث - فلست أدري والله ما الذي يحتاج إلى التهذيب ، أهذه النصوص الكريمة أم الذي قـام بتهذيبها نفسه ؟".
وهنا لابد أن نقل تعريف التهذيب من كتاب الكليات (للكنوي) ، ص308 ، يـقـول : "التهذيب هو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله والشروع في تنقيحه نظماً كان أو نثراً، وتغيير ما يجب تغييره ، وحذف ما يجب حذفه ، وإصلاح ما يتعين إصلاحــــه، وكشف ما يشكل من غريبه وإعرابه وتحرير ما يدق من معانيه". وبعبارة أخرى : هـــو اختصار أو زيادة بتصرف.
ومن الأمثلة على الزيادة تهذيب الكمال ، وتهذيب التهذيب ، وتهذيب إصلاح المنطق ، ومن الأمثلة على الاختصار - مع زج بعض التعليقات الخفيفة فيه -: المهذب في اختصار السنن الكبرى.
وأما اعتراضك : أن هذه آيات وأحاديث فلا تهذب ، فالأمثلة كثيرة على تهذيب كثير من الكتب المليئة بالآيات والأحاديث واختصارها. وقد تقدم ذكر شيء منها.
3- عِبت عليَّ أني رتبت بعض الأحاديث - وهي قليلة - في الأبواب المناسبة .
أقـــول :إن النقـــل الذي فعلته في كتابي لا يعدو طريقة المتقدمين في تهاذيبهم. فانظر مثلاً كتاب "الكمال في أسماء الرجال" للحافظ عبد الغني المقدسي ، الذي رتب كتابه في تراجم الرجال كالآتي: مقدمة في أهمية

الإسناد في الحديث، ثم تراجم العشرة المبشرين بالجنة، ثم تراجم الصحابة، ثم تراجم الصحابيات ، ثم المحمدين من التابعين ومن بعدهم ، ثم حرف الألف منهم بالترتيب الهجائي. فجاء بعده الحافظ المزي ، فبنى على كتابه كتاباً آخر سماه "تهذيب الكمال" غيَّر فيه وبدَّل فبدأ بـمـقـدمـة، ثم بترجمة للنبي -صلى الله عليه وسلم- ، ثم بتراجم الرواة جميعاً صحابة وتابعين ، وغيرهم على الترتيب الهجائي إلا أنه قدم مضن اسمه أحمد في حرف الألف على غيره.. فهل هذا التهذيب - أيها الفاضل - كأصله في ترتيبه؟ .

4- تستحلفني بالله أن هذا كتاب رياض الصالحين نفسه بنصه وفصّه كما وضعه المؤلف؟.

أقول:كيف تقول ذلك وأنا أقول لك هذا تهذيبه،وكل عامل يدرك ذلك، فـفـي صـفـحـة الـغــلاف إشــارتــان واضـحـتـان لذلك. الأولى: قولي:"تمتاز هذه الطبعة بضبط نصوصها وتهذيبها". والأخرى: "حققه وقدم له وهذبه وخرجه حسان عبد المنان" . فكيف تريدني أن أحلف على أمر أنا أقول بخلافه ؟! .

هذا السؤال نفسه وجهه إلي الشيخ الألباني المحدث - حفظه الله - فقل له : هل كتاب "السنة"(1) لابن أبي عاصم هــو الـكـتاب الذي وضعه مؤلفه ؟ . سيقول لك : أنا وضعت تحت هذا العنوان : "ظلال الجنة فـي تـخـريــج السنة"، فيفهم منه أن هذا الكتاب هو تخريجه. وكحال الكتب المحققة المخرجة أيضاً، هـل هي الكتب التي وضعها مؤلفوها؟ إذاً يجب على قاعدتك أن تذكر فوق كل عنوان : تخريج ، أو شرح ، أو تحقيق..

5- تعترض عليَّ لأنني حذفت الأحاديث الضعيفة من الكتاب ، وقد فعل هذا غير واحد من مشايخ عصرك ، فها هو الشيخ الألباني مثلاً : اسـتـخـــرج السنن الأربع بصحيحها وحذف ضعيفها، وكذلك "صحيح الجامع" . فهل ما فعله بنظرك إساءة ؟

6- تقول : وما أخال إنساناً سوياً خلقه الله ووهبه عقلاً يشكو صعوبة تناول كتاب النووي حتى جاء صاحبنا ليسهل له ذلـك بالتهذيب كيما يناله بأقــــرب الطرق (حتى ولو كانت مشروعة) والغريب حقاً أنه يفـعـل ذلك ليقرأ الكتاب دون ملل فـي وقـت قـصـيــــر مع أن صفحاته الستمائة تقريباً تعادل حجم الأصل..

أقول :

أولاً: وهل اختصر النبهاني الكتــاب نفسه لأن فيه صعوبة، وهل اختصر الألباني أحكام الجنائز، وصفة الصلاة، والشمائل المحمـديـة، والعلو للعلي الغفار لذلك السبب نفسه. أم من باب التسهيل والتيسير لهذه الأمة قدر الإمكان.

ثانياً: اعتراضك أن صفحات التهذيب تعادل حجــم الأصل ، وهذا غير الواقع ، انظر إلى طبعة المكتب الإسلامي الجديدة، وطبعة مؤسسة الرسـالة

المحققة، وطبعة فاروق حمـــادة فإنك ستجد أن الأولى والثانية تتجاوز صفحات كل منهما السبع مئة صفحة، والثالثة نحو التسع مائة صفحة. وأما طبعتي فهي دون الفصل الأخير نحو خمس مئة صفحة على مــا فيها من شرح وتحقيق أثناء الكتاب.
أقول أخيراً : إن الاتهام أسهل البضائع ، ولكنها لن تُباع إذا لم تُقرن بالأدلة.
1- ما زال الكتاب يُطبع باسم غير مؤلفه دون أي تنبه لذلك ؛ إذ كُتب على غلافه: للـحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد. والصواب : للحافظ أبي بكر بن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم .

منتدى القراء

أهمية فقه سُنة الابتلاء

إن معرفة الطريق الذي يسير فيه الإنسان لبلوغ هدفه أمر ضروري لمواصلة سيره دون انقطاع أو فتور، لتجنب ما يمكن تجنبه من الـعـوائـق فـي هذا الطريق. ومما لا شك فيه أن طريق الدعوة إلى الله طريق طويل وشاق ؛ إذ إنه يبدأ منذ أن يعقل الإنسان دوره ووظيفته في هذه الحياة، ولا ينتهي إلا إذا انتهت المسافة التي حددها الله له في هذا السفر - وهي عمره - والتي لا يدري عنها المسافر شيئاً، هذا إذا واصل فـي هذا الطريق ، ولم يستطل المسافة أو يستصعب السير فيبحث عن طرق أخرى يراها أقـصـــر أو أسـهــل. وقد يكون فيها هلاكه المحقق!
الـسـمة الـبارزة لهذا الطريق - كما يذكر الله (تعالى) في كتابه ، وكما يذكر رسوله -صلى الله عـلـيه وسلم- ، وكما يذكر التاريخ ويؤيده الواقع أيضاً - أنه طريق ابتلاء وامتحان ، طريق محفوف بالمكاره ، يشتد الابتلاء فيه - بشتى صوره - ويكبر كلما أوغل السائر فيه وهو مُصر على التقدم .
وهذا التصور يفيدنا في أمور لعل من أهمها :

1- الاستعداد المناسب لطبيعة الطريق :

إن من يريد اجتياز هذه الطريق يحـتاج إلـى استعداد وتهيئة وتربية، تهيئة نفسية تساعد على الاستمرار وعدم التوقف ، وتهيئة علمية تساعد على ضبط المسار وعدم الانحراف.
إن مَن يريد سفراً - وهو يعرف طبـيـعـة الطريق - يلزمه أن يختار أسلوب السفر المناسب، وطريق الدعوة، وحـمْـل هــذا الـديــن قــد ثبت بالشرع والواقع أنه شاق تكثر فيه العوائق والمحن، فلا بد أن يوطن الإنسان نفسه عـلى مــا يُحتمَل أن يصيبه في هذا الطريق ، ويعد نفسه لذلك حتى إذا حدث شيء منه يكون قد أخذ استعداده فلا يُفاجَأ بالأمر فينهار، أو يرتبك إذا لم يكن فـي حسـبـانه وتخطيطه احتمال وقوعه ، ويقول الشيخ السعدي (1) في قوله

- تعالى - : ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ))[آل عمران:186] : ".. ومنها (أي فوائد الإخبار بالابتلاء) أنه أخبرهـــم بذلك لتتوطن أنفسهم على وقوع ذلك ، والصبر عليه إذا وقع لأنهم قد استعدوا لوقوعه فـيهـــون عليهم حمله ، وتخف عليهم مؤنته ، ويلجؤون للصبر والتقوى" .
ففقه هذه السنة اللازمة للدعوة إلى الله بتدبير الآيات والأحاديث المخبرة عنها، وبدراسة سير السلف الصالح ممن ابتُلوا في سـبـيـــل الدعوة إلى الله - يدعو الحازم إلى الاستعداد والتأهب وتوقع ما سيحصل في مستقبل دعوته.

2- عدم الوقوع في الفتور الذي يصيب بعض الدعاة :

إن كثيراً من الشباب المتحمس يبدأ مجال الدعوة باندفاع ويسر لما يحققه من نجاح نسبي في أول مشواره مع قلة ما يواجه المبتدئ - غالباً - من عقبات ، فيترسخ في ذهنه أن هذه الطريق كلها بهذه السهولة، قريبة النتائج. فــــإذا ما توغل وحصل له أي نوع من أنواع الابتلاء بدأ يتململ ويتذمر، وينفذ صبره ، ويتوقف عن مواصلة الطريق ، ثم يخبو حماسه أو ينطفئ تماماً، وما ذلك إلا لأنه لم يكن مدركاً مـــن الأصل طبيعة هذا الطريق ، بل كان لديه تصور متفائل جداً، وغير مستند على أدلة شرعية، أو حقائق واقعية مما جعله يفاجأ بالحقيقة التي لم يعدّ نفسه لها منذ البداية، وقد تصــل الحالة بمن كان مفرطاً في التفاؤل إلى التخلي عن مبدأ الدعوة إلى الله ولو تدريجياً .

3- عدم التسرع والاستعجال في تحصيل النتائج :

إن الداعي إلى الله إذا لم يعلم ويتيقن أن ما سيصيبه في طريق دعوته - من عدم استجابة الناس على عجل أو عدم استجابتهم البتة، أو عدم ثباتهم على الاستقامة أو عدم زوال المنكرات ، بل أحياناً ازديادها أو غير ذلك - إنما هو من الابتلاء والامتحان له ، بل قد يدفعه جهله هذا إلى الظن أن هذه هي النتيجة النهائية وأنه - والدعاة معه - قد خسروا فيتصرف تصرفات رعناء متسرعة من واقع الضغط النفسي الذي يضايقه ، ظاناً أنه بذلك يحقق نصراً للدعوة لم يستطع تحقيقه بأسلوبه الأول الذي اعتمد على الرفق والتؤدة.
مثلاً : أن يسعى لتغيير بعض المنكرات الكبيرة الشائعة بالقوة التي يرى - بفهمه القاصر - أن فيها مصلحة للدعوة، وهذا مما يسبب مشاكل كبيرة للدعوة التي يحملها، والتي كان يمكن تفاديها لو علم أنه ليس مطالَباً بأن يهتدي الناس على يديه ، بل واجبه هو دعوة الناس وتبليغهم دين الله ، وهو إذا قام به على خير وجـــه فهو نجاح بالنسبة له بغض النظر عن النتائج .
والداعي ليس مطالباً بتحقيق نصر الإسلام فهذا أمره إلى الله متى شاء أن يحدث حدث ، لكنه مطالب ببذل الجهد في هذا السبيل فحسب ، والرسل والأنبياء كانوا يخاطَبون بذلك ((فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إلاَّ الـبَــلاغُ))[الشورى:48] ، فالعجلة والتسرع في قطف ثمار الدعوة، وتحصيل نتائجها كلها يتطلب أمراً أساسياً ألا وهو الصبر.

راشد حُسين آل عبد الكريم

الهوامش:

1- تفسير السعدي ، ص468،ط1.

هُجِرَ الكتاب

طُوي الكتابُ وجفَّت الأقلامُ فعليكَ يا زمنَ الإباءِ سلامُ
واستأسد الفأرُ الضعيفُ بعصرنا وأُميطَ عن وجهِ اللئيمِ لِثامُ
تلك المآسي لستُ أحصي عدَّها في كلِّ يومٍ محنةٌ وسَقامُ
كلُّ المصائب سهلةٌ ويسيرةٌ أما مصائبُ أمتي فَجِسَامُ
إني أنادي والرياحُ عصيبةٌ والأرضُ حجرٌ والدِّيارُ ضِرامُ
يا ألفَ مليونٍ ألا مِن سامعٍ؟ هل من مجيبٍ أيها الأقوامُ؟
فأجابني صوتٌ دويٌ صاخبٌ أصغتْ له الوديانُ والآكامُ
فرفعتْ رأسي إذ بشبلٍ شامخٍ خجلتْ لفرطِ عُلُوِّهِ الأجرامُ
فسألتُه: مَن أنت؟ قال بعزةٍ: أنا مسلمٌ وشعاريَ الإسلامُ
أنا شبل سعدٍ يا نجومُ وخالدٍ أنا شبلُ حمزةَ ذلك الضِّرغامُ
الساجدون بليلِهم أما إذا لفحَ الهجيرُ فإنهم صوَّامُ
ثم انقضتْ تلك المفاخرُ كلُّها كأنما كانت لنا أحلامُ

عبد الله بن محمد العسكر

أناس يتطهرون

تطهرنا من الأوثانِ فينا وخُضنا في الشقاء وما شقينا
وراعَ الثُّلَّةَ البيضاءَ أنَّا كفرنا بالظلامِ ولن نلينا
فهذا القسّ والوثني صارا يزفَّان السلامَ لقاتلينا
أقاموا "مجلساً" لهمُ وسنُّوا قوانينا لأمنِ الظالمينا
وسَمَّوا دفعنا للظلمِ عنفاً وإرهاباً يصيب الآمنينا
وسَمَّوا رُعبَهم أمناً فأَهَدُّوا لأسْرانا المشانق والسجونا
وقالوا: أخرجوهم! إنما هُم أناسٌ أصبحوا يَتَطَهَّرونا
فآوينا إلى ركنٍ شديدٍ تشرفُهُ الملائِكُ ما حيينا
أتانا الرومُ يغتصبون لكنْ رمينا بالحجارةِ غاصبينا
نُكبِّرُ إن أقاموا الحصنَ يوماً ونقذفُ بالمقاليع الحصونا

إدريس نقش الجابري

ماذا ينتظر المسلمون ؟

إذا كانت وحدة العمل الإسلامي والتنسيق بين العلماء والدعاة والتشاور بين الجماعات من الأمور المطلوبة أكثر من قبــل وأشد إلحاحاً، فإن معاناة المسلمين ، وما يلاقونه من عذاب وقهر، وإذلال وقتل وتشريـــد، وما يخطط لهم عدوهم - مما هو أشد وأنكى - يتطلب منا اليوم أكثر من أي وقت مضى الوقوف وقفة رجل واحد لوضع حد لمعاناتنا، وإيجاد مخرج من هذا النفق المظلم ، والبحــث عـــن أسباب ووسائل التمكين والعزة ؛ فالدموع والآهات والحسرات ليست هي الرد الأمثل، وكـذلـك الخـطـب والمحاضرات ، اللهم إلا إذا كانت تدندن حول هذه المواضع وتمهد لها.
لم يعد خافياً على أحد : أن العالم أجمع - قديمه وجديده - اتفق على ألا تقوم للمسلمين قائمة، ونلمس ذلك صباحاً ومساءً ، فماذا أعددنا لمواجهة ذلك ؟ وعلى أي شيء اتفقنا ؟ .. أخشى ما أخشاه أن نكون اتفقنا على الشيء نفسه لكن بحسن نية، وسلامة قصد ؛ إذ كلمة الحق مرة، ولكن من مُر الدواء يكون الشفاء بإذن الله. فـحـين يقول الزعيم : أنا ولا أحد غيري !! وتدعي كدعوات هذه الجماعة وتلك ، ونبقى نحـــن علـى ما نحن عليه يستفحل هذا التنازع المؤدي للفشل وذهاب الريح!!
إن معرفة واقع المسلمين وأسباب ضعفهم ، واكتشاف أمراضهم وعِلَلهم ليس خطأً ولا عيباً، بل الـخـطــأ في المجاملة والطمأنة بأننا بخير وأحوالنا في تحسن ، والنصر لنا، والمستقبل والصحوة، إلى آخر ما هنالك من هذه العبارات .
لا يشك أحد أن المستقبل لهذا الدين ، وسيبلغ ما بلغ الليل والنهار ، ولكن هذا النصر من الله - تعالى - جعلـه الله - تعالى - على أيدي المسلمين أنفسهم ، وبجهودهم ونحن لسنا أعز على الله - تعالـى - من رسوله الكريم ؛ إذ أخذ بكافة الأسباب ، حين أراد الهجرة من مكة ، من رفيق الطريق، والزاد والدابة، واستئجار الدليل ، وإخفاء الليالي ، كل ذلك والله قادر على إيصاله إلى المدينة بأقل من طرفة عين، لكنها السنن ، والمدرسة التي يجب أن نتعلم منها ونتلمس خُطاها، ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ))[آل عمران:142] .
إن التمني وأحلام اليقظة لا تنتج إلا حراباً تنحر رقاب المسلمين ، بعد أن أصبح الخوف والخـنـوع شعارنا، ونشيد أطفالنا الذين ينامون ويستيقظون على أحلام الخوف والفزع.. حــــول ما يرون ويسمعون ، فإذا قرأت كلمة "ذُبِحَ" فتوقع بعدها المسلمين ، وإذا سمعت "هُتِكَ" فـلا بد أن تكون أعراضهم ، وإن ذُكر الهدم فالمقصود مساجدهم..
أيرضى عـــن هـــذا الذي نحن فيه مسلم يبتغي وجه الله واليوم الآخر؟ أترضى عن ذلك جماعة تبتغي إعلاء كلمة الله وإقامة شرعه؟ .

وإني أقول الجواب: إن مـــن لم يعمل لإيجاد مخرج مما نحن فيه ، ومن لم يسعَ حسب قدرته وطاقته ، ومن لم يكن هذا همه ، فليفهم نفسه أنه على خطر عظيم.
إن المسؤولية تكبر بكبر الموقع، والإمكانات، وإن مـكــــان ذلك لا يعفي أحداً منها، ومن يدري فرُبَّ كلمة في هذا الاتجاه يهيئ لها الله - سبـحـانه وتعالـى - القبول ممن بيدهم الاستطاعة والقدرة ؛ فالحروب الصليبية كلها عائدة لبطرس الراهـــب الذي جاب أوربا شرقاً وغرباً - لا يملك سوى الكلمة لتحريض النصارى على تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين حسب زعمه.
ونحن في هذا المجال لا ننكر جهود بعض المخلصين ونداءاتهم من أجـــــل وحدة العمل الإسلامي ورصّ الصفوف رغم ما يعترض ذلك من صعاب ومشقة، ولكن النـتـائج لم تُظهر أية مبادرة عملية في هذا الاتجاه ، حيث كثرت الأقوال وقلّت الأعمال .
إن خلاص النية لله والتوكل عليه وتقواه أساس البداية الصحيحة السليمة ؛ ومصداق ذلك قوله -تعالى - : ((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً))[الطلاق:2] . ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ))[الطلاق:3] ، ثم يأتي الإعداد والأخذ بالأسباب ؛ لقوله - تعالى - : ((وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ)) [الحديد:25] .

عدنان محمد عبد الرزَّاق

السرقة أنواع ودرجات

قد يظن البعض من الناس أن مـفـهـــوم السرقة محصور فقط في أخذ مال الغير من حِرْزه ، والاستيلاء عليه بدون وجه شرعي.. وكفـى. ولكن مفهوم السرقة أعمق من هذا بكثير.. فقد تفنن الناس فيها، واخترعوا اختراعات، حتى صـــارت أنـواعـــاً ودرجات.. بعضها أظلم وأعقد من بعض.
فـمــن أنـواع السـرقـــات التي انتشرت في الآونة الأخيرة في العالم أجمع : سرقة الأعمال الأدبية ، سواء أكانت شـعـراً أم نثراً أم قصة أم رواية..الخ.
وكذلك سرقة المؤلّفات بكاملها أو بعضها.. أو الخروج على قانون الاقتباس ، وهذا ما قد عمَّت به البلوى - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.
وكذلك ما تفعله بعض دور الـنشـر والتحقيق التي لا ضمير لها، وكذا بعض الأفراد الذين يعملون في هذا المجال.. فمصائـبـهـــم لا تعد ولا تحصى...كل هذا سرقة للتراث ، وقتل للنبوغ والابتكار وإهلاك الاقتصاد.
ومـن أشـــد أنـواع السرقة ، ومن أقتمها درجة ، وأعظمها عند الله : سرقة بعض المدراء لجهود مرؤوسيـهــم ، ولا سـيـمـا إذا كان هذا المدير ذا فصاحة وبيان وعنده القدرة على التلاعب بالألفاظ والاستخفاف بعقـــول الآخرين

والتأثير عليهم بسحر لسانه وقوة بيانه وكذبه وتماديه في الباطل ، فيخلط مــع الكلمة ألف كذبة ؛ ليأكل بلسانه حقوق الموظفين التابعين لإدارته ، وهذا الصنف من المدراء كثير - لا كثَّرهم الله - في كل زمان ومكان .

عادل محيي الدين نصار

المجتمع الإسلامي

المرأة وخدمة العقيدة !!

الرباب بنت عبد الله

قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عـنـهـــا - : كان الرسول - عليه السلام - يقول في مرضه الذي مات فيه : "يا عائشة ما أزال أجـــد ألم الطعام الذي أكلت في خيبر".

هذا حديث صحيح ذكره البخاري في باب (مرض الــرسول الذي مات فيه).

لقد وقفت مع هذا الحديث وظللت أتأمله وأردد بيني وبين نفسي (إن هذا لشيء عُجاب) !! ؛ أجل فقد استولى عليَّ العجب لكون طعام يهود خيبر المسموم الـــــذي قدموه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يجئ به شاب مفتول العضلات ولا رجل قوي البنية! إنما تولت زمام هذه المؤامرة الدنيئة امرأة ضعيفة!!

سألت نفسي مراراً:

تُرى ما الذي حمل هذه المرأة على أن تخطط لقتل رسول الـهــدى ؟! وما كان - بأبي هو وأمي - من الملوك الظلمة الذين يأخذون أموال الناس غصباً وعـــــدواناً. هل هو شعور هذه المرأة بأنها عضو في مجتمع وعليها دور لابد أن تؤديه ؟!

إذا كانت هذه المرأة اليهودية قد عرَّضت نفسها للمشاق والألم. وهـمـــــت بمبارزة الرجال حرصاً على بقاء عقيدتها الهشة التي أحاط بها الباطل من بين يديها ومــن خلفها.. فماذا تراها فاعلة لو كانت تحمل في صدرها عقيدة التوحيد الصافية التي يحملها فتيات الإسلام ومع ذلك قـلـمـــا يجـتـهـــدن لنصرتها، ويحملن همها ويقدمن لأجلها الرخيص فضلاً عن النفيس!!

كأن فتاة الإسلام قد أغمضت عينيها فلم تبصر نساء اليهود والنصارى في عصرنا وقد شمرن عن ساعد العمل والجد. حتى قـامــت (إيميلدا) - زوجة ماركوس حاكم الفلبين السابق - بقيادة معظم الحركات التنصيرية ضــــد المسلمين في مندناو والجزر الإسلامية!! ، بل إن حماسها العقَدي حملها على إنشاء منظـمـــات نصرانية كمنظمة (ايلجاس) التي ليس لها مهمة إلا قتل الشباب المسلم في الفلبين ، وقتل نسائهم وتخريب ديارهم! كما لم تنسَ

هذه النصرانية تكوين عصابة سمتها "عصابة الفـئـران" وصرفت لموظفيها مبالغ طائلة ليصطادوا فريستهم التي ليست إلا نحن (!!) .
وإني أحسب أن فحيح (عابدة حسين) الذي تناقلته وسائل الإعلام مؤخراً ، ليس إلا دليلاً على أن العصر عصر العقائد، حتى عند الجـنـس اللطيف! ؛ إذ دأبت هذه المسيحية على تحريض بلادها (باكستان) كي تعترف بالكيان الصـهـيـونـي الـــذي ترتبط هي به روحياً وعقائدياً!!
والأمثلة على هذا النوع كثيرة... غير أني أدَعُها وأدْعو نساء المسلمين إلى مطالعة صفحات التاريخ المشرقة ليرين خطوات أسماء ونطاقها الذي لم تجد غيره فشقّـته! وليتأملن صمود أسماء وابنها عبد الله ، فهل كان يرخص رأس عبد الله في عيني أمـه لولا عقيدة يرخص دونها الوالد والولد ؟!
لماذا تُشيح فتاة الإسلام بسمعها عن صوت الخنساء وهي تردد : "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم"! وهي التي همت قبل إسلامها بقتل نفسها حزناً على أخيها؛ إذ قالت:

ولولا كثرةُ الباكين حولـي على إخوانهم لقتلتُ نفسي !

تُرى ما الذي غيَّر لغة الخنساء وعاطفتها، ومن ذا الذي منحها طاقـــة تواجه بها مصيبة موت أولادها الأربعة إلا عقيدة لا طعم للحياة بدونها!
وفي العصر الحديث لا نعدم جيلاً نسائياً استشعر عظمة العقيدة فجاهد لنصرتها، ولم يقف تفكير هؤلاء النسوة عند حدود الطبخ والثوب والحذاء والزوج والولد وأمن البلاد ، بل كان مع تربية الولد وإسعاد الزوج وخدمة أمتها..
أختاه.. (للنائمات فقط) ، العقيدة لا تحتاجنا، بيد أننا نحتاج خدمـتـهـا لنـتـذوق طـعـم الحياة بها !!

الهوامش :

1- صحيح البخاري ، (والله يعصمك من الناس) ، عرض تاريخي لمحاولات اغتيال الرسول ، أحمد الجدع .
2- انظر : مجلة الدعوة ، تاريخ 8/5/1412هـ ، ص16-17.
3- مجلة الجهاد، العدد رقم 85 ، شعبان عام 1412هـ . عابدة حسين سفيرة باكستان لدى الأمم المتحدة.

آداب الزيارة وحدودها بين النساء

أم عبد الرحمن

إن للزيارة آداباً وحدوداً، فإذا فقدت الزيارة بعضاً من هذه الآداب وتجاوزت شيئاً من هذه الحدود، فإن القلوب قد تتنافر، كنتيجة لذلك.

وقد جمعت شيئاً من هـــذه الآداب مـن واقــع التجربة، راجية من الله - عز وجل - أن يجعل فيها الفائدة المرجوة لأخواتي في الله، وأن تكون بعيدة عن الإفراط والتفريط.

من آداب الزيارة :

1- اختيار الوقت المناسب ، واليوم المناسب للزيارة :

فلا يكون الوقت في الصباح الباكر أو فـي وقـت الظهـيرة بعد الغداء، أو في وقت متأخر من الليل ؛ فإن وقت الصباح الباكر وقت نوم عند بعض النساء، ووقت عمل عند أخريات (من تنظيف بيت وإعداد طعام..) .

ووقت الظهيرة بعد الغداء هو وقت القيلولة، وهو وقت نوم أو استراحة للزوج بعد عودته من العمل. والوقت المتأخر من الليل هو وقت السكون والراحة أيضاً وهو وقت خاص بأفراد الأسرة.

2- اجتناب الزيارات المفاجئة بدون موعد مسبق أو استئذان :

وتلافي ذلك بسؤالك صديقتك التي ترغبين في زيارتها (عن طريق الهاتف إن استطعت) عمَّ إذا كان وقتها يسمح لها باستقبالك إذا لم تكن لديها أية مسؤوليات تجاه أطفالها أو بيتها أو زوجها في ذلك اليوم. وبهذا الاستئذان تكون مهيأة ومستعدة لاستقبالك ، بعكس الزيارة المفاجئة التي قد تسبب الضيق والإزعاج لصديقتك ، خاصة إذا كانت صديقتك - أو بيتها - في حال أو في هيئة تكره أن يراها أحد عليها.

3 - أن لا تطول مدة زيارتك :

لأن الزيارة إذا كانت مدتها طويلة قد تُشعر صديقتك بـأنـك أثقـلـت عليها وأنك لا تبالين بكثرة مسؤولياتها كزوجة وأم وربة بيت ، وبالتالي قد يذهب ودّها لك أو يقل.

4- إذا طالت مدة الزيارة فينبغي استغلال الوقت بما ينفع :

وبما يكون فيه لك ولصديقتك الأجر والثواب، وذلـك بـقـــراءة أحد الكتب الإسلامية، أو سماع شريط نافع ، كي تشعر صديقتك بالسرور ؛ لأن زيارتـك أفـادتـهــا الكثير ولم يذهب وقتها هباءً في الثرثرة من تشدق وغيبة ونميمة.

5- التحفظ وقت الزيارة في الأقوال والأفعال :

بحيث لا تُظهري لصديقتك شيئاً من الفضول في قولك أو فعلك بكثرة الاستفسار عن أشياء تخصها، أو تخص زوجها - والتي ربما تكون عادية - ولكنها لا تحب البوح بها لك أو لغيرك.

6- إظهار الرضى والسرور والبشاشة بما تقدمه لك من طعام أو شراب :

واستكثاره مهما كان قليلاً، وتقديم النصيحة لها بالبعد عن الإسراف والتكـلـف للضيف في المأكل والمشرب ، وعدم التحدث بعيوب الطعام الذي قدمتْه لك مهما كان نوعه.

7- تجنب كثرة المزاح :

إذا تجاوز الحد أورث مقتاً واحتقاراً لصاحبه ، وقد يملأ القلوب بالأحقاد إذا كان مزاحاً ثقيلاً وجارحاً لكرامة الشخص ولمشاعره.

8- إصلاح ما قد يتلفه أطفالك من متاع أو أثاث في بيت صديقتك أثناء زيارتك لها :

(إذا كان بالإمكان إصلاحه وقتئذٍ)، وتنظيف أو إزالة ما قد يُحدثه أطفالك مـن فـوضى أو قذارة في بيتها ؛ حتى لا تشعر صديقتك أنك ضيفة ثقيلة عليها أنتِ وأطفالك.

9- تقديم الشكر لصديقتك عند نهاية الزيارة :

والدعاء لها بقولك:"جزاك الله خيراً" على استقبالها لك وحسن ضيافتها لك ، وقدمي لها الاعـتـذار إن بـدا مـنــك أو من أطفالك أي أذى لها أو لأطفالها أثناء الـزيـارة؛ فـإن هــذا الاعتذار قد يُذهب ما في القلوب من كدر أو جفاء أو شحناء إن وجد .

10 - عدم تكرار الزيارات في فترات متقاربة من الزمن :

حـتـى لا تتولـد الجفـوة والسآمة بكثرة الخلطة واللقاءات والاجتماعات المتكررة والمتقاربة، وقد قيل: "زُرْ غِباً تزددْ حباً"، وقيل أيضاً: "لا تزرِ القوم قبل أن يشتاقوا إليك، ولا تمكثْ حتى يضجروا منك".

وختاماً .. فإني أرجو أن تكون هذه الآداب بعيدة عن الإفراط والتفريط وأن تكون أقرب إلى الحق والصواب والعدل.

ظواهر

الأحباش : دعوة أم فتنة ؟

محمد الشيخ عثمان

ظهر في لبنان في السنوات الأخيرة طائـفـــــة تسمى الأحباش ، نسبة إلى شيخهم عبد الله الحبشي وقد تبنت هذه الطائفة عقائد خالـفـــت فيها كثيراً من اعتقادات أهل السنة كما سلكت مسالك شاذة في الفقه والسلوك. ولهم جـمـعـيـــــة اسمها "جمعية المشاريع الخيرية" ومجلة شهرية تسمى "بمنار الهدى" تصدر في لبنان. ونظراً لأن مؤسس هذه الفئة "عبد الله الحبشي" يدعي أنه من الصومال بل يدعي أحياناً أنه مفـتـي الصـومال ؛ رأيت أن أكتب بعض الحقائق عنهم لكوني من الصومال أولاً، ولأنني كنت أتـابـع نشاط هذه

الفئة لبعض الوقت. وقبل أن أتطرق لمعتقداتهم رأيت أن أكتب عن المؤسس.
أسس هذه الفئة عبد الله بن محمد الشيبب الهَرَري(1) الحبشي(2). وهو ليس من الصومال كما يدعي ، ولا أظنه معروفاً عند الصوماليين فضلاً عن كونه مفتيهم.
شخصية الحبشي شخصية غامضة لم تكن معروفة كثيراً في العالم الإســـلامـي أو في شرق إفريقية إلا ما ذكره الشيخ عبد الرحمن دمشقية من أن الرجل ساهم في فتنة الـمسلمين في أرض هرر، وخاصة فتنة "كلنب" (3) وقد ذكر أن الحبشي حارب أهل السنة بإيعـاز من أديس أبابا وتعاون مع الحاكم ادتراجي صهر هيلاسيلاسي ، وسبب إغلاق مدارس تحفيظ القرآن ، حتى عُرف بشيخ الفتنة، ثم هرب من الحبشة إلى الشام ، وأسس مذهبه في لبنان وكانت أزمة لبنان الأخيرة مما ساعده على ذلك حيث وجدها مرتعاً لأفكاره المنحرفـــــة، ومدخلاً للعالم الإسلامي لبث اعتقاده. ومما يؤكد أن شخصية الحبشي غامضة ما ذُكر في مجلتهم "منار الهدى" (4) ، حين أجرت مقابلة مع ابنه الذي صرح أنه لم يلتقِ بوالده حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ! .

الأحباش :

أكثر "الأحباش" من لبنان ، وقلة من الجنسيات الأخرى، وقد بدؤوا أخيراً تكوين نشاط فـي بـعـض الـدول الـغــربية، مثل الدانمارك ، وسويسرا، وفرنسا، وأكثر أتباعه شباب متعصبون لشيخهم ومذهـبـهــم الـمـبـنيّ على كثير من الاعتقادات الفاسدة، والشذوذات الفقهية.

ففي الاعتقاد :

خالف الحبشي أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، فهو يتصيد الآراء الفاسدة من كل الفرق المنحرفة، فتجده تارة جهمياً وتــارة مـرجـئـــاً، كـما أنه يأخذ فكرة التكفير من الخوارج، ففي الصفات نجده مدَّعياً أنه يؤمن باثنتي عشرة صـفـة فـقــط ، ويزيد عليها مخالفة الله للحوادث والقيام بالنفس (5) . كما أنه لا يؤمن بصفتَيْ الغضب والرضا، ويرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان (6) .

سَبّه للصحابة :

إن عبد الله الحبشي يفسّق معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - ومن كان معه ضد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فهو في هذا متشيع خارج عن مذهب أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة وعدم الخوض فيما شجر بينهم ، كما يفسّـــق أم المؤمنين عائشة - عليها رضوان الله - (7) .

تكفيرهم للعلماء :

من سمات الأحباش تكفيرهم لعلماء شُهد لهم بالعدالة والاستقامة، فهم يكـفـــرون شـيـخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم. ومن الـعـلـماء الذين يكفرهم الحبشي الشهيد سيد قطب - رحمه الله - والمحدث محمد ناصر الدين الألباني ،. والشيخ عبد العزيز بن باز، بل ويكفرون الجماعات السلفية، وجماعة الإخوان المسلمين. مقابل تفسيق الصحابة، وتكفير العلماء نجد الحبشي يمدح ابن عربي ، وعبد الوهاب الشعراني ، وغيرهم ممن عرفوا بالشعوذة والدجل (8) .

آراؤه الفقهية :

سلك الحبشي مسلكاً شاذاً في الفقه ، فهو يرى خروج المرأة متبرجة متعطرة إلى الشوارع ، ويرى اخـتـــلاط النساء بالرجال لأجل الدعوة، ويكفر من يحذر من ذلك كما فعل بحق الشيخ فيصل مـولــوي ، ومن أغرب ما ذهب إليه الحبشي إجازته لمن أراد التخلف عن الجمعة أو الجماعة أن يأكل الثوم والبصل ؛ مستدلاً بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "مَن أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربنَّ مسجدنا"(9) وهذا غاية في الشذوذ والضلال، وإذا فُهمت النصوص بهذا الفهم الحبشي فلن يكون هناك كتاب أو سُنة.

ومن غرائبهم أنهم مـوسـوسـون في إخراج الحروف، فـتـسـمـع لهم في الصلاة صفيراً بسبب بحثهم عن مخارج الصاد، وقــد شـبَّـهـهـم الشيخ محمد عـبـد الله الشامي بفعلهم هذا في مساجدهم كأن مساجدهم مملوءة بالعصافير ! (10).

استخدام العنف في نشر مذاهبهم :

وهــذا مذهب أهل الضلال والانحراف مـثـل الخوارج ؛ فأهل السنة لا يستخدمون العنف لنشـر مذهبهم ويتقون الله في دماء المسلمين . وقـد سـبـــق أن اتُّهِموا بمقتل الشيخ القصاص (11) وغيره. ولا يمكن أن يُترك هؤلاء يروِّعون المسلمين فـي مراكزهم ومساجدهم.

أقوال علماء المسلمين فيهم :

لـقــد أخبرني مَن أثق فيه : أن من أحسن ما كُتب أخيراً فـي الـــرد على الأحباش كتاب "إطــلاق الأعنَّة" ، كما أن كتاب "الرد على عبد الله الحبشي" للـشـيـــخ محمد عبد الله الشامـي يعـتـبـر كتاباً جيداً ، ناقش معتقدات الأحباش بهدوء، وبطريقة علمية. وقد تكلم على هذه الفئة علماء أجلاء منهم : فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز حيث قال عنهم : "إن هذه الفئة معروفة لدينا وهي فئة ضالة، ورئيسها عبد الله الحبشسي معروف بانحرافه وضلاله والواجــب مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم" . وذكر سعد الدين خالد ابن الـشـيـخ حسن خالد - رحـمــه الله - مفتي لبنان : "إن هؤلاء ليسوا بعيدين عن مخططات أعداء الإسلام في نشر الفُرقة والآراء الشاذة ليشغلوا المسلمين بها" .

وخلاصة الـقــول إن هذه الفئة تستخدم إمكانيات اقتصادية هائلة، ومن خلالها ينشـــرون مذهبهم بين المسلمين؛ لذا يجب على علماء الإسلام التصدي لهؤلاء وتفنيد بدعهم ، والرد عليهم، وبيان زيفهم وضلالهم.

الهوامش :

1- نسبة إلى هرر مدينة شهيرة قامت فيها إمارات إسلامية وهي الآن جزء من الحبشة.
2- نسبة إلى الحبشة .
3 - المسلمون ، العدد (410) ، 17 من جُمادى الآخر عام 1413هـ ، ومجلة الفرقان ، العدد (33) ، رجب عام 1413هـ .
4- منار الهدى ، ص33 ، العدد رقم 3.
5- انظر الرد على الحبشي للشامي .
6- الدليل القويم ، ص10-11، والرد على الحبشي للشامي ، ص218.
7- الدليل القويم ، ص214.
8- الدليل القويم ، ص152 (الفتوحات المكية).
9- رواه مسلم بلفظ : "من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته".
10- الرد على الحبشي للشامي ، ص29.
11 - الفرقان ، العدد (33) ، رجب عام 1413هـ .

الصفحة الأخيرة

باسم رب الغلام

د.محمد الحضيف

اقتربتْ من صدره فاحتضنته، ثم تراجـعـت خـطــوة إلى الوراء، ويدها ما زالت على صدره وقالت:
- ما هذا يا عبد الله؟
- درع أتقي بها ضرباتهم.
- أتخاف من الحجَّاج يا عبد الله.. أتخاف من الموت ؟!
قلت لها : لماذا لا تخافين أن يكون اسمك على ورقة، لماذا تطالبينني أن أكون (عبد الله)، ولا تحاولين أن تكوني (أسماء) ؟ سكتت وانتهى هذا الحديث. ثم.. لما جنَّ عليَّ الليل أخذت أتأمل فيما قلت لها: هـل قسوت عليها . هل طالبتها بما لا تستطيع ؟ ، لقد تحدثنا عن التضحية، عن كـيـف عـانى - عليه الصلاة والسلام - حتى يبلّغ الرسالة. إننا دائماً نتحدث عن الحاجة إلى الــرواد الذين يتقدمون الصفوف ليلتقطوا الراية أو يحملوا المشعل ، وكثيراً ما نستخدم مثالاً سخيفاً، فنقول : "مَن يعلق الجرس ؟" فتتبادر إلى أذهاننا قصة

الفئران والقط . لهذا السبب نعـاني شُحاً في الرواد والرائدات.. ما دام المثال فئراناً وقططاً ؛ فالمسألة لا تستحق تضحية، فـضـلاً عن أن تكون هناك ريادة. استبد بي الأرق وعافني مضجعي وأنا أتأمل فيما قلت . تذكرت حديث صاحبي الذي قال : كنا في مجلس فحُدِّثنا عن صفة أهل النار فرانَ علينا صـمــت كـصمت مَن في القبور، وما تجد واحداً منا يلتفت إلى صاحبه. ثم حُدثنا عن صفة أهل الجنة فـارتفع بكاؤنا وعويلنا . تعجبت .. قال : لا تعجب ، حينما كان يتحدث عن أهل النار خفـنا أن يسمينا لكثرة ما اقترفنا، فلزم كل منا الصمت خشية أن يقول ها هو ذا. وحينما تـحـــدث عن أهل الجنة، وتحدث عن أدنى أهلها والحوار الذي دار بينه وبين الرب - جل وعـــــلا - بكـيـنا وكل واحد يؤمّل أن يكون ذلك الأدنى. ثم أضاف صاحبي وقال : لكنه حدثنا حديث الغلام.
ســرتْ في جسدي رعشة وأنا أردد: حديث الغلام. هل تذكرون حديث الغلام ؟ ؛ هــــذا أعـظـم الرواد. ليتني قلت لها حديث الغلام. صحيح أنني حدثتها عن أم المؤمنين خديجة وهي تدثـــره - عليه السلام - وتقول : أبشر، والله لا يخزيك الله. كأني أقول لها كوني خديجة.
لكن ما حــال الغلام؟ هل تريد أن تقتلني ، قالها الغلام. اجمعِ الناس ، وخذ هذا السهم وقل : باســم رب هذا الغلام ثم أطلقْ السهم فتقتلني. جمع الناس وقال : باسم رب الغلام وأطلق السهم؛ مات الغلام، وقال الناس: آمنا برب الغلام .
ومضت في التاريخ قصة أعظم الرواد. فمَن يكون مثل الغلام.. لا من يعلق الجرس ؟!.

تمت بحمد الله
